جامعة الأزهر الشريف

كلية أصول الدين بالقاهرة

قسم التفسير وعلوم القرآن

الأقوال الشارحة

في

تفسير سورة الفاتحة

إعداد

الدكتور شعبان محمد عطية

المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥)

وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) سورة طه

أحمدك ربى حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، وأصلى وأسلم على خاتم رسلك وأنبيائك ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد ،،

فإن سورة الفاتحة هى السورة التى افتتح الله بها كتابه المجيد على حسب ترتيب المصحف الشريف ، وهى سورة عظيمة القدر ، عالية الشأن ، فعلى الرغم من قصر حجمها إلا أنها السورة الوحيدة التى فرض الله قراءتها على كل مسلم ومسلمة فى صلاته كل يوم وليلة لا أقول فى اليوم الواحد مرة واحدة وإنما مرات متعددة نظرا لما تضمنته هذه السورة من معان وأهداف ومقاصد تجسد فى مجملها كليات الشرع الحنيف من عقائد وعبادات وقصص أنبياء فهى بالنسبة لسائر القرآن كالمقدمة التى أوجزت أهدافه ومقاصده ونظرا لهذه الأهمية فإنى سأحاول مستعينا بالله – عز وجل – أن أتناول هذه السورة بشئ من الدراسة رجاء الكشف عن جانب من هذه الحقائق التى تناولتها السورة الكريمة وذلك من خلال المطالب الآتية

المطلب الأول : التعريف بالسورة الكريمة

المطلب الثانى : الاستعاذة وأحكامها .

المطلب الثالث : البسملة وأحكامها .

المطلب الرابع : معانى الفاتحة وأحكامها .

المطلب الخامس : الخاتمة

المطلب الأول : ويشتمل على :

أولا : أسماء السورة ٠

ثانيا : ما جاء فى فضلها ٠

ثالثا : زمن نزولها ٠

رابعا : عدد آياتها

خامسا :أهم موضوعاتها ٠

أولاً : أسماء السورة الكريمة٠

هذه السورة الكريمة من السور التى ورد فى تسميتها أسماء متعددة ٠

قال الشيخ الطاهر ابن عاشور :

سورة الفاتحة من السور ذات الأسماء الكثيرة، أنهاها صاحب «الإتقان» إلى نيف وعشرين بين ألقاب وصفات جرت على ألسنة القراء من عهد السلف، ولم يثبت في السنة الصحيحة والمأثور من أسمائها إلا فاتحة الكتاب، والسبع المثانى، وأم القرآن، وأم الكتاب

وسأكتفى هنا ببيان معانى هذه الأسماء الأربعة :

١- الفاتحة وهو أشهر أسمائها على الإطلاق وتسمى بذلك لافتتاح القراءة بها لفظا وافتتاح المصحف بها خطا وكذلك تفتتح بها الصلوات وقيل سميت بذلك لأن الحمد فاتحة كل كلام ولذلك فمن آداب الدعاء أن يبدأ بالثناء على الله ذلك أنه من شأن من يقدم على أحد من الملوك لحاجة يحسن أن يقدم بين يدى حاجته شيئا من المدح أو الثناء ، والله – عز وجل – هو ملك الملوك ولا أحد أحب إليه الثناء منه سبحانه ، والحمد من جوامع الثناء على الله سبحانه

وعلى هذا النسق درج علماؤنا على افتتاح مصنفاتهم وخطبهم بالحمد والثناء عليه سبحانه

قال صاحب التفسير الوسيط : سميت بذلك لأنه تفتتح قراءة القرآن بها لفظا. وتفتتح بها الكتابة في المصحف خطا، وتفتتح بها الصلوات، وإن لم تكن هي أول ما نزل من القرآن. وقد اشتهرت بهذا الاسم في أيام النبوة.وقد أصبح هذا الاسم علما بالغلبة لتلك الطائفة من الآيات التي مبدؤها الْحَمْدُ لِلَّهِ..ونهايتها.. وَلَا الضالين [1]

وقد ورد في الحديث ما يدل على تسميتها بفاتحة الكتاب ما روي عن ابن عباس قال: بينا جبريل قاعد عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه ، فقال : هذا باب من السماء فتح اليوم ، ولم يفتح قط إلا اليوم ، فنزل منه ملك فقال : هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم ، وقال : أبشر بنورين أوتيتهما ، لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة [2]

٢ – السبع المثانى سميت بذلك لأنها تثنى في الصلاة ويقرأ بها في كل ركعة، وقيل : لأن الله تعالى استثناها لهذه الأمة ، وادخرها لهم ، فلم يترلها على غيرهم. وقيل : لأنها أنزلت مرتين . قال الإمام الرازى : من أسماء هذه السورة (السبع المثانى) قال الله تعالى: ولقد آتيناك سبعا من المثانى (الحجر: ٨٧) وفي سبب تسميتها بالمثانى وجوه: –

الأول: أنها مثنى: نصفها ثناء العبد للرب، ونصفها عطاء الرب للعبد.

الثاني: سميت مثاني لأنها تثنى في كل ركعة من الصلاة.

الثالث: سميت مثاني لأنها مستثناة من سائر الكتب،

---

(١) الوسيط ١٢/١

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب صلاة السافرين باب فضل الفاتحة (٥٤٤/١ رقم ٨٠٦)

قال عليه الصلاة والسلام: والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة، ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثل هذه السورة وإنها السبع المثاني والقرآن العظيم.[1]

٣ – أم الكتاب سميت بذلك لأنها أصل القرآن ، وأم كل شيء : أصله، وقيل هى إمام لما يتلوها من السور قال الإمام الفخر :[2]«أم القرآن» والسبب فى تسميتها بذلك: أن أم الشيء : أصله، والمقصود من كل القرآن تقرير أمور أربعة: الإلهيات، والمعاد، والنبوات، وإثبات القضاء والقدر لله تعالى، فقوله: الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم يدل على الإلهيات ، وقوله: مالك يوم الدين يدل على المعاد، وقوله: إياك نعبد وإياك نستعين يدل على نفي الجبر والقدر وعلى إثبات أن الكل بقضاء الله وقدره، وقوله: اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين يدل أيضا على إثبات قضاء الله وقدره وعلى النبوات، فلما كان المقصد الأعظم من القرآن هذه المطالب الأربعة وكانت هذه السورة مشتملة عليها لقبت بأم القرآن.

.إلى أن قال رحمه الله :قال الثعلبي: سمعت أبا القاسم بن حبيب، قال: سمعت أبا بكر القفال قال: سمعت أبا بكر بن دريد يقول: الأم في كلام العرب : الراية التي ينصبها العسكر، قال قيس بن الحطيم:

نصبنا أمنا حتى ابذعروا ... وصاروا بعد ألفتهم سلالا[3]

فسميت هذه السورة بأم القرآن لأن مفزع أهل الإيمان إلى هذه السورة كما أن مفزع العسكر إلى الراية، والعرب تسمي الأرض : أما، لأن معاد الخلق إليها في حياتهم ومماتهم،

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/٣١١رقم ٨٦٨٣) عن أبي هريرة ، قال محقق المسند شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح غير سُليمان بن داود –وهو الهاشمي–، فقد روى له أصحاب السنن، وهو ثقة جليل.

(٢) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (١/ ١٥٨) ط دار إحياء التراث العربي – بيروت

(٣) لم أقف عليه

ولأنه يقال: أم فلان فلانا إذا قصده.قال: وسميت أم الكتاب لأنه يبتدأ بكتابتها في المصاحف، ويبدأ بقراءتها في الصلاة. وقال يحيى بن يعمر: أم القرى: مكة، وأم خراسان: مرو، وأم القرآن: سورة الحمد. وقيل: سميت أم القرآن لأنها أوله ومتضمنة لجميع علومه، وبه سميت مكة : أم القرى ، لأنها أول الأرض ومنها دحيت، ومنه سميت الأم : أما لأنها أصل النسل، والأرض أما في قول أمية بن أبي الصلت:

فالأرض معقلنا وكانت أمنا ... فيها مقابرنا وفيها نولد[1]

ويقال لراية الحرب: أم، لتقدمها واتباع الجيش لها. وأصل أم : أمهة، ولذلك تجمع على أمهات، قال الله تعالى:" وأمهاتكم". ويقال أمات بغير هاء. قال:

فرجت الظلام بأماتكا [2]

وقيل: إن أمهات في الناس، وأمات في البهائم، حكاه ابن فارس في المجمل

قال العلامة الزبيدي : قال ابن دريد: وكل شيء انضمت إليه أشياء من سائر ما يليه فإن العرب تسمى ذلك الشيء أمّا. وأم القرى: مكة ، زيدت شرفا؛ لأنها توسطت الأرض فيما زعموا ، قاله ابن دريد، أو لأنها قبلة جميع الناس يؤمونها ، أي: يقصدونها، أو لأنها أعظم القرى شأنا ، وقال نفطويه: سميت بذلك لأنها أصل الأرض [3]

---

(١)الحيوان للجاحظ ٣ / ١٧٣

(٢) هذا عجز بيت لم أقف على قائله ونصه : !

إِذَا الأُمَّهَاتُ قَبَحْنَ الْوُجُوه ... فَرَجْتَ الظَّلامَ بِأُمَّاتِكَا

ينظر كتاب " الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ، لأبي الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريرى النهرواني دار الكتب العلمية، بيروت لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

(٣) تاج العروس (٣١/ ٢٣٣) ، وينظر أيضا لسان العرب (٣١/١٢)

قلت : كما أن للسور أسماء أخرى كالصلاة والرقية والشفاء والأساس والكافية والسؤال والحمد والشكر والدعاء لكن هذه الأسماء هى إلى الألقاب أو الصفات أقرب والله أعلم [1]

ثانيا : ما جاء فى فضلها :

جاء فى فضل هذه السورة عدة أحاديث منها :

١ – ما أخرجه البخارى وغيره عن أبى سعيد بن المعلى قال: كنت أصلى فى المسجد فدعانى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فلم أجبه، ثم أتيته فقلت يا رسول إني كنت أصلى فقال: ألم يقل الله استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم ثم قال لي لأعلمنك سورة هى أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد ثم أخذ بيدى فلما أراد أن يخرج قلت له يا رسول ألم تقل لأعلمنك سورة هى أعظم السور فى القرآن قال: الحمد لله رب العالمين هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذي أوتيته[2]

٢ – عن أبى بن كعب قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن وهي السبع المثانى [3]

وقال : حديث حسن صحيح هو مقسومة بينى وبين عبدى، ولعبدى ما سأل .

---

(١) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (١/ ١٥٨) ط دار إحياء التراث العربي – بيروت

(٢)أخرجه البخارى في صحيحه كتاب التفسير – باب تفسير سورة الفاتحة (١٧/٦، رقم ٤٤٧٤) ، وأبو داود في سننه (٧١/٢، رقم ١٤٥٨)

(٣)أخرجه الترمذى في السنن- أبواب تفسير القرآن (٢٩٧/٥، رقم ٣١٢٥) ، والنسائى في سننه كتاب الصلاة (١٣٩/٢، رقم ٩١٤) ، وأبو يعلى في مسنده (٣٦٧/١١، رقم ٦٤٨٢) ، وابن خزيمة (٢٥٢/١، رقم ٥٠١) ، والحاكم في المستدرك (٢٨٣/٢، رقم ٣٠١٩) وقال: صحيح على شرط مسلم وسكت عنه الذهبي .

وقال الضياء المقدسي في المختارة : (٤٣١/٣) إسناده حسن.

وله شاهد بإسناد صحيح سبق تخريجه من حديث أبي هريرة

٣ - أخرج أبوداود في سننه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني ورواه الترمذي وقال الترمذى : حديث حسن صحيح [١]

٤- عن ابن عباس قال: بينا جبريل قاعد عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه ، فقال : هذا باب من السماء فتح اليوم ، و لم يفتح قط إلا اليوم ، فنزل منه ملك فقال : هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم ، وقال : أبشر بنورين أوتيتهما ، لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة[٢]

٥ – أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداج ، هى خداج ، هى خداج : غير تمام ، قال : فقلت : يا أبا هريرة إنا أحيانا نكون وراء الإمام فغمز ذراعى ، وقال: اقرأ بها في نفسك يا فارسى ، فإنى سمعت رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – يقول: قال الله تبارك وتعالى: قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل، فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدنى عبدى، وإذا قال : الرحمن الرحيم ، قال : أثنى على عبدى ، وإذا قال : مالك يوم الدين قال : مجدنى عبدى وربما قال : فوض إلى عبدى، وإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال : هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل، وإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال: هذا لعبدى ولعبدى ما سأل.[٣]

ثالثا : زمن نزولها

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن كتاب الصلاة باب فاتحة الكتاب (٧١/٢ رقم ١٤٥٧) و والترمذى في سننه أبواب تفسير القرآن (٢٩٧/٥، رقم ٣١٢٤) وقال: حسن صحيح. وأخرجه أيضًا: أحمد في مسنده (٤٤٨/٢، رقم ٩٧٨٩) ، والدارمى في السنن (٥٣٩/٢، رقم ٣٣٧٤) .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة (٢٩٦/١ رقم ٣٩٥)

لقد اختلف العلماء فى زمن نزول هذه السورة فمن قائل : إنها مكية، ومن قائل : إنها مدنية ، ومن قائل : إنها نزلت مرتين : مرة بمكة ، ومرة بالمدينة. قال القرطبى : الأول أصح ، لقوله- تعالى- في سورة الحجر: (وَلَقَدْ آتَيْناكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) وسورة الحجر مكية بالإجماع. ولا خلاف في أن فرض الصلاة كان بمكة، وما حفظ أنه لم يكن في الإسلام قط صلاة بغير (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ) يدل على ذلك قوله صلّى الله عليه وسلّم: (لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب) . وهذا خبر عن الحكم لا عن الابتداء[1]

رابعا : عدد آيات السورة الكريمة:

جمهور العلماء على أن عدد آيات السورة الكريمة سبع آيات وإن اختلفوا فى كيفية العدد فالشافعية ومن وافقهم يعدون البسملة آية و(صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) آية والمالكية ومن وافقهم لا يعدون البسملة آية ويعدون (صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) آية و(غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) الآية السابعة قال ابن كثير: هي سبع آيات بلا خلاف. وقال عمرو بن عبيد: هي ثماني آيات لأنه جعل إِيَّاكَ نَعْبُدُ آية. وقال حسين الجعفى: هي ست آيات وهذان القولان شاذان قلت :والقول بأنها سبع آيات هو الصحيح قال تعالى فى سورة الحجر (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) (٨٧) والجمهور على أن السبع المثانى : الفاتحة قال القرطبى : قال العلماء: السبع المثاني هي الفاتحة.قال الزمخشرى : وهي سبع آيات بالاتفاق، إلا أنّ منهم من (عدّ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) دون التسمية، ومنهم من مذهبه على العكس.[2]

خامسا : أهم موضوعاتها:

---

(١) القرطبى ١/١١٥

(٢)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (١/١) ط دار الكتاب العربي – بيروت، وتفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ١١٢)

تناولت هذه السورة الكريمة رغم صغر حجمها ، ووجازة لفظها : كليات القرآن الكريم وتضمنت مقاصده الأساسية حيث بدأت بالثناء الكامل لله فهو الخالق للكون ومن فيه ، المتكفل بأمر عباده ، ثم تناولت بعد ذلك جانبا من أعظم جوانب العقيدة ألا وهو الإيمان باليوم الآخر الذى يمثل الركيزة الأساسية للعقيدة بعد الإيمان بالله تعالى رب العالمين ثم تتحدث السورة الكريمة بعد ذلك عن إفراده — عز وجل — بالعبادة الصادقة الخالصة التى تؤصل وتعمق فى القلب حقيقة ألا يستعين إلا بالله تعالى ولذلك يفرده سبحانه بالدعاء طالبا من مولاه (الهداية إلى الدين الحق والصراط المستقيم، والتضرع إليه بالتثبيت على الإيمان ونهج سبيل الصالحين، وتجنب طريق المغضوب عليهم والضالين، وفيها الإخبار عن قصص الأمم السابقين، والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الأشقياء، وفيها التعبد بأمر الله سبحانه ونهيه، إلى غير ما هنالك من مقاصد وأغراض وأهداف، فهي كالأم بالنسبة لبقية السور الكريمة ولهذا تسمّى «أم الكتاب» لأنها جمعت مقاصده الأساسية).[1]

المطلب الثانى : الاستعاذة وأحكامها ويشمل :

أولا : صيغ الاستعاذة .

ثانيا : معنى الاستعاذة .

ثالثا : أحكام الاستعاذة .

أولاً : صيغ الاستعاذة

---

(١) صفوة التفاسير (١/ ١٨)

وردت الاستعاذة بصيغ متعددة منها :

١ – أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

وهذه أشهر صيغها فقد جاء فى سورة النحل

(فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) (٩٨)

. وروي عن ابن مسعود أنه قال: قلت أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم:" يا ابن أم عبد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنى جبريل عن اللوح المحفوظ عن القلم".[١]

٢ – أعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه فقد أخرج أبو داود وابن ماجه في سننهما عن جبير بن مطعم أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة فقال عمرو : لا أدرى أى صلاة هى؟ فقال:" الله أكبر كبيرا ، الله أكبر كبيرا ،:ثلاثا الحمد لله كثيرا ، الحمد لله كثيرا ،:ثلاثا وسبحان الله بكرة وأصيلا : ثلاثا أعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه". [٢]قال عمرو همزه : الموتة، ونفثه : الشعر، ونفخه : الكبر. وقال ابن ماجه: الموتة يعني الجنون. والنفث: نفخ الرجل من فيه من غير أن يخرج ريقه. والكبر: التيه.

٣ – أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه فقد أخرج أبو داود عن أبي سعيد الخدرى قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل كبر ثم يقول:" سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك ثم يقول: لا إله إلا الله ثلاثا ثم يقول: الله أكبر كبيرا ثلاثا أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه"، ثم يقرأ أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم

---

(١) عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٤٥) إلى الثعلبي والواحدي في تفسيريهما بسندهما .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة باب ما يستفتح به الصلاة (١/٢٠٣ رقم ٧٦٤) والطبراني في المعجم الكبير (٢/١٣٤ رقم ١٥٦٨) ..

[1]، روى سليمان بن سالم عن ابن القاسم رحمه الله أن الاستعاذة: أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم بسم الله الرحمن الرحيم، قال ابن عطية:" وأما المقرءون فأكثروا في هذا من تبديل الصفة في اسم الله تعالى كقول بعضهم: أعوذ بالله المجيد، من الشيطان المريد، ونحو هذا مما لا أقول فيه: نعمت البدعة، ولا أقول: إنه لا يجوز".

قلت : أيا ما كان الأمر فلا تعارض بين هذه الصيغ لأنها فى النهاية استجارة من العبد الضعيف بسيده ومولاه من شر هذا الشيطان الرجيم وكل هذه الصيغ تؤدى هذا المعنى إن شاء الله وإن كان أشهر هذه الصيغ :الأولى . والله أعلم.

ثانيا معنى الاستعاذة :

إذا كانت الاستعاذة قد وردت بصيغ عديدة إلا أنى سأكتفى هنا بالكلام على الصيغة الأشهر أعنى (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) فأقول وبالله التوفيق

١- أعوذ : الاستعاذة في كلام العرب، الاستجارة والتحيز إلى الشيء على معنى الامتناع به من المكروه، يقال: عذت بفلان ، واستعذت به، أى لجأت إليه. وهو عياذي، أي ملجئى. وأعذت غيري به ، وعوذته بمعنى. ويقال: عوذ بالله منك، أي أعوذ بالله منك، قال الراجز:

قالت وفيها حيدة وذعر ... عوذ بربي منكم وحجر[2]

. والعوذة والمعاذة والتعويذ كله بمعنى. وأصل أعوذ نقلت الضمة إلى العين لاستثقالها على الواو فسكنت.

قال ابن فارس :عَوَذَ- الْعَيْنُ وَالْوَاوُ وَالذَّالُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ، وَهُوَ الِالْتِجَاءُ إِلَى الشَّيْءِ، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ لَصِقَ بِشَيْءٍ أَوْ لَازَمَهُ قَالَ الْخَلِيلُ: تَقُولُ أَعُوذُ

---

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن كتاب أبواب إقامة الصلاة باب افتتاح الصلاة (٦/٢ رقم ٨٠٥) وأحمد في مسنده (٥١/١٨ رقم ١١٤٧٣) وإسناده ضعيف لكن له شواهد تقويه .

(٢) من شعر الحطيئة (خزانة الأدب للبغدادي ٣/ ٤١٣)

بِاللَّهِ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - أَيْ أَلْجَأُ إِلَيْهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -، عَوْذًا أَوْ عِيَاذًا. ذَكَرَ أَيْضًا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: فُلَانٌ عِيَاذٌ لَكَ، أَيْ مَلْجَأٌ. وَقَوْلُهُمْ: مَعَاذَ اللَّهِ، مَعْنَاهُ أَعُوذُ بِاللَّهِ. [1]

٢ - الله اللائق أن نترك الحديث عنها عند الكلام على البسملة

٣ - الشيطان — كلمة شيطان إما من شطن بمعنى بعد

أى عن الخير. وشطنت داره أي بعدت، قال الشاعر

نأت بسعاد عنك نوى شطون ... فبانت والفؤاد بها رهين [2]

وبئر شطون أي بعيدة القعر. والشطن: الحبل، سمي به لبعد طرفيه وامتداده. وسمى الشيطان شيطانا لبعده عن الحق وتمرده، وذلك أن كل عات متمرد من الجن والإنس والدواب : شيطان، قال جرير:

أيام يدعونني الشيطان من غزل ... وهن يهوينني إذ كنت شيطانا [3]

وقيل: إن شيطانا مأخوذ من شاط يشيط إذا هلك، فالنون زائدة. وشاط إذا احترق. وشيطت اللحم إذا دخنته و لم تنضجه. واشتاط الرجل إذا احتد غضبا. وناقة مشياط التي يطير فيها السمن. واشتاط إذا هلك، [4]

قال الأعشى:

قد نضخب العير من مكنون فائله ... وقد يشيط على أرماحنا البطل [5]

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/ ١٨٤) .

(٢) البيت للنابغة الذبياني كما في سمط اللآلي في شرح أمالي القالي (٥٨/١) وتاج العروس (٢٢/ ٥٧٥)

(٣) البيت للشاعر المشهور جرير كما في تاج العروس للمرتضى الزبيدي (٣٥/ ٢٧٨)

(٤) مجمل اللغة لابن فارس (٢/ ٨٦٧) ط دار العلم للملايين

(٥) البيت للشاعر المعروف بالأعشى كما في تاج العروس (١٩/ ٤٣٠)

أي يهلك. ويرد على هذه الفرقة : أن سيبويه حكى أن العرب تقول: تشيطن فلان إذا فعل أفعال الشياطين، فهذا يبين أنه تفعيل من شطن، ولو كان من شاط لقالوا: تشيط، ويرد عليهم أيضا بيت أمية بن أبي الصلت:

أيما شاطن عصاه عكاه ... ورماه في السجن والأغلال [1]

فهذا شاطن من شطن لا شك فيه.

٤ - الرجيم : أصل الرجم الرمي بأحجاره، وقد رجمته أرجمه، فهو رجيم ومرجوم. والرجم: القتل واللعن والطرد والشتم، وقد قيل هذا كله في قوله تعالى:" لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين". وقول أبي إبراهيم:" لئن لم تنته لأرجمنك".والمعنى: أستجير بالله ، وأحتمى به من الملعون المذموم أن يغويني ويضلّني ويبعدني بوساوسه ومكائده عن سبيل الإخلاص الموصل إلى الله رب العالمين ، سواء أكان ذلك من خلال قراءة قرآن أم غير ذلك من العبادات . والله أعلم [2]

---

(١) نقد الشعر لمؤلفه قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي ص ٨٦

(٢) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (١/ ٢٩) ، الجامع لأحكام القرآن (١/ ٨٦)

ثالثا : الأحكام الفقهية

الحكم الأول : وقت قراءة الاستعاذة:

القول الأول:

اتفق الأكثرون على أن وقت قراءة الاستعاذة قبل القراءة واستدلوا على ذلك بما يأتى:

١- قوله تعالى :" فَإِذَا قَرَأْتَ القرآن فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ"أى : إذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ بالله .. على أن فى الكلام تقديماً وتأخيراً ، ومن لغة العرب أن كل فعلين تقاربا فى المعنى جاز تقديم أيهما شئت قال تعالى " ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى" أى ثم تدلى فدنا ، وقوله " اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ" أى انشق القمر فاقتربت الساعة .[1]

٢- الثابت عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يستعيذ قبل القراءة فقد روى جبير بن مطعم أن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان يتعوذ قبل القراءة.[2]

٣ - وأيضا هو فعل جماهير علماء الصحابة والتابعين إذ لم ينقل عن أكثرهم خلاف ذلك.

القول الثانى:

ذهب الإمام النخعى وأبو داود والأصفهانى ورواية عن ابن سيرين إلى أن الاستعاذة عقب القراءة واستدلوا على ذلك بما يأتى :

١- قوله تعالى :" فَإِذَا قَرَأْتَ القرآن فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ" سورة النحل الآية رقم (٩٨)

---

(١) تهذيب اللغة (١٤/ ١٢٢) للعلامة الأزهري ط/ دار إحياء التراث العربي - بيروت

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه كتاب الصلاة باب في التعوذ ، كيف هو قبل القراءة أو بعدها؟ (٢٥١/١ رقم ٢٤٥٩)

فقد دلت هذه الآية على أن قراءة القرآن شرط وذكر الاستعاذة جزاء والجزاء متأخر عن الشرط فوجب أن تكون الاستعاذة متأخرة عن قراءة القرآن الكريم .

٢-أن كون الاستعاذة عقب القراءة هو الموافق للعقل لأن من قرأ القرآن فقد استوجب الثواب العظيم فلو دخله العجب فى أداء تلك الطاعة سقط ذلك الثواب لقوله عليه الصلاة والسلام " ثلاث مهلكات " وذكر منها إعجاب المرء بنفسه[1]، فلهذا السبب أمره الله تعالى بأن يستعيذ من الشيطان لئلا يحمله الشيطان بعد قراءة القرآن على عمل يحبط ثواب تلك الطاعة .

٣- قالوا : ولا يجوز أن يقال : إن المراد من قوله تعالى " فَإِذَا قَرَأْتَ القرآن فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ" أى إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ كما فى قوله تعالى" إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ" سورة المائدة رقم (٦) .

والمعنى إذا أردتم القيام إلى الصلاة ؛ لأنه يقال : ترك الظاهر فى موضع الدليل لا يوجب تركه فى سائر المواضع لغير دليل .

قلت: ويمكن أن يجاب عن ذلك بأن الدليل على ذلك هو ما ورد عن النبى - صلى الله عليه وسلم - كما مر ولا شك أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو المبين للقرآن هذا بالإضافة إلى أن الآية محل الاستشهاد محتملة لهذا ولذاك ، لذا لزم المصير إلى الاحتمال الذى نطقت به السنة

---

(١)أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٣٢٨/٥، رقم ٥٤٥٢) ، قال الهيثمى (٩١/١) : فيه زائدة بن أبى الرقاد وزياد النميرى وكلاهما مختلف فى الاحتجاج به. وأخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٤٧١/١، رقم ٧٤٥)

قلت : وله شواهد كثيرة تصل به إلى درجة الحسن ، وقد صححه الألباني في صحيح الجامع .

قال الإمام الرازى: أما جمهور الفقهاء فقالوا : لا شك أن قوله : { فإذا قرأت القرآن فاستعذ } [النحل : ٩٨] يحتمل أن يكون المراد منه إذا أردت ، وإذا ثبت الاحتمال وجب حمل اللفظ عليه توفيقاً بين هذه الآية وبين الخبر الذي رويناه . [١]

الرأى الراجح:

الراجح بعد استعراض أدلة الفريقين هو قول جمهور الفقهاء لقوة أدلته وسلامتها من المعارضة المؤثرة؛ ذلك لأن المقصود من الاستعاذة دفع وساوس الشيطان ومما لا شك فيه أن وساوسه تكون أقوى ما يكون عند قراءة القرآن الكريم فاحتاج القارئ إلى دفع هذه الوساوس بالاستعاذة التى هى استجارة بالله تعالى منها.

ومع أن القول الأول هو الراجح إلا أن القول الثانى له وجاهته أيضاً ذلك أن النفس الإنسانية ضعيفة ، وبالتالى فإن العبد وهو يقرأ ، قد يختلس الشيطان منه شيئا من حظوظ النفس ، فإذا حدث فإن العبد بالاستعاذة بعد القراءة يتبرأ من هذه الأشياء ، وإن لم يكن فقد استعاذ العبد بسيده ومولاه مرة أخرى حرصا منه على إخلاص العمل فلعله بهذه الرغبة ينال عمله القبول والحمد لله رب العالمين.

المسألة الثانية : حكم الاستعاذة:

١- ذهب جمهور العلماء إلى أن الاستعاذة سنة مستحبة سواء فى الصلاة أو عند القراءة واستدلوا على ذلك بأن النبى صلى الله عليه وسلم لما علم المسىء صلاته [٢] لم يذكر الاستعاذة ولو كان الأمر فى قوله تعالى "فاستعذ بالله" للوجوب لذكرها صلى الله عليه وسلم للأعرابى .

---

(١) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (١/ ٦٧)

(٢)أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأذان باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها (١/ ١٥٢ رقم ٧٥٧) .

٢- ذهب عطاء إلى أن الاستعاذة واجبة لكل قراءة ، سواء كانت في الصلاة أو فى غيرها، وقد رجح الإمام الرازى قوله مستدلاً بوجوه:

الأول: أنه عليه السلام واظب عليه، فيكون واجباً لقوله تعالى: وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨) الأعراف.

الثاني : أن قوله تعالى: (فاستعذ) أمر، وهو للوجوب، ثم إنه يجب القول بوجوبه عند كل القراءات، لأنه تعالى قال: (فَإِذَا قَرَأْتَ القرءان فاستعذ بالله) وذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يدل على التعليل، والحكم يتكرر لأجل تكرر العلة.

الثالث : أنه تعالى أمر بالاستعاذة لدفع الشر من الشيطان الرجيم، لأن قوله: (فاستعذ بالله مِنَ الشيطان الرجيم) [النحل : ٩٨] مشعر بذلك، ودفع شر الشيطان واجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

٣- ذهب ابن سيرين إلى أن الاستعاذة واجبة مرة واحدة فى العمر عملاً بقوله فاستعذ فإنه للوجوب لكن الوجوب يتحقق ولو بمرة واحدة كالشهادتين مثلاً.[١]

٤- يرى الإمام مالك أن يستعيذ المرء فى النافلة دون الفريضة .[٢]

الرأى الراجح:

قول جمهور الفقهاء القائل باستحبابها لا بفرضيتها؛ إذ لو كانت واجبة لعلمها الرسول صلى الله عليه وسلم للأعرابى المسيء صلاته وأيضاً لو كانت واجبة لكان التارك لها فى الصلاة عامداً آثما ولا قائل بذلك ، غاية ما هنالك أنه فى الصلاة يقرأ بها سراً على أية حال كانت الصلاة لكن الخلاف هل يتعوذ فى كل ركعة أو لا .

---

(١) تفسير آيات الأحكام للسايس (١/ ٤٧٩) ، الموسوعة الفقهية (٥/٤) .

(٢)

قال الشافعى رضى الله عنه في «الأم»: قيل : إنه يتعوذ فى كل ركعة ، ثم قال: والذى أقوله : إنه لا يتعوذ إلا في الركعة الأولى .

قال الرازى: له أن يحتج عليه بأن الأصل هو العدم ، وما لأجله أمرنا بذكر الاستعاذة هو قوله: { فَإِذَا قَرَأْتَ القرءان فاستعذ بالله } [النحل : ٩٨] وكلمة إذا لا تفيد العموم. (١)

المسألة الثالثة

هل التعوذ للقراءة أو للصلاة؟

عند أبي حنيفة ومحمد أنه لأجل القراءة ، وعند أبي يوسف أنه لأجل الصلاة ، قال الإمام الرازى:

ويتفرع على هذا الأصل فرعان :

الفرع الأول : أن المؤتم هل يتعوذ خلف الإمام أم لا؟ عند أبى حنيفة ومحمد لا يتعوذ، لأنه لا يقرأ، ووجه قولهما قوله تعالى : (فَإِذَا قَرَأْتَ القرءان فاستعذ بالله مِنَ الشيطان الرجيم) [النحل : ٩٨] علق الاستعاذة على القراءة، ولا قراءة على المقتدى، فلا يتعوذ، وعند أبي يوسف: يتعوذ ووجه قوله أن التعوذ لو كان للقراءة لكان يتكرر بتكرر القراءة، ولما لم يكن كذلك بل كرر بتكرر الصلاة دل على أنها للصلاة لا للقراءة،

الفرع الثاني: إذا افتتح صلاة العيد فقال: سبحانك اللهم وبحمدك هل يقول: أعوذ بالله ثم يكبر أم لا؟ عند أبي حنيفة ومحمد أنه يكبر التكبيرات ثم يتعوذ عند القراءة وعند أبي يوسف يقدم التعوذ على التكبيرات . (٢)

وختاماً : فإن الاستعاذة استغاثة من عبد ضعيف يدرك ضعفه برب قوى عزيز حكيم عليم يدرك العبد ذلك أيضاً من شر شيطان مريد للإنسان عدو مبين أعطى قدرة على الوسوسة

---

(١) مفاتيح الغيب (١/ ٦٨)

(٢) مفاتيح الغيب (١/ ٦٩)

للإنسان بما يفسد عليه عبادته وطاعته يدرك العبد ذلك أيضاً كما أنه على يقين أنه لا يستطيع أحد أن يدفع عنه هذه الوساوس إلا الله العزيز الحكيم العليم بحال هذا العبد لذلك فإن العبد بالاستعاذة ينخلع من حوله وقوته ويلوذ بحمى سيده ومولاه فى حالة إيمانية رائعة ، فى قلب عبد صالح تألقت ، سرت فى قلبه ووجدانه كما يسرى الماء فى العود الأخضر والدم فى العروق وليس له إلا مطلب واحد ، ورجاء واحد ، هو أن يذهب الله عنه هذه الوساوس والشرور.

أقول : إذا تعلق قلب العبد بربه على هذا النحو فمن المأمول من كرم الكريم تحقيق أمل عبده وقد تعود العبد من ربه على غاية الكرم ذاك الرب الذى يستجيب للمضطر حتى ولو كان مشركاً:" هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٢)"

فإذا كان هذا هو شأنه مع من أشرك فكيف بمن أخلص واتقى وملئ قلبه باليقين فى رب عزيز حكيم عليم بحاله وبما يحيط به من آفات وشرور وقد لجا إليه لجوء المضطر المستغيث وقلبه يترقب مجيء نصر من ربه قريب وما أجمل أن تكون الاستغاثة من هذا العبد بربه لحظة إقبال العبد على قربى من القربات كالصلاة أو قراءة القرآن الكريم مثلاً، مما لا شك فيه أن الإجابة هى الكائنة الحاصلة لهذا العبد من ذى الجلال والإكرام .

قال الإمام الرازى [1]: اعلم أن الاستعاذة لا تتم إلا بعلم وحال وعمل، أما العلم فهو كون العبد عالماً بكونه عاجزاً عن جلب المنافع الدينية والدنيوية وعن دفع جميع المضار الدينية والدنيوية، وأن الله تعالى قادر على إيجاد جميع المنافع الدينية والدنيوية وعلى دفع جميع المضار الدينية والدنيوية قدرة لا يقدر أحد سواه على دفعها عنه. فإذا حصل هذا العلم في القلب تولد عن هذا العلم حصول حالة في القلب، وهي انكسار وتواضع ويعبر عن تلك الحالة بالتضرع إلى الله تعالى والخضوع له، ثم إن حصول تلك الحالة في القلب يوجب حصول

(١) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (١/ ٧١) دار إحياء التراث العربي – بيروت

صفة أخرى في القلب وصفة في اللسان، أما الصفة الحاصلة في القلب فهي أن يصير العبد مريداً لأن يصونه الله تعالى عن الآفات ويخصه بإفاضة الخيرات والحسنات وأما الصفة التي في اللسان فهي أن يصير العبد طالباً لهذا المعنى بلسانه من الله تعالى ، وذلك الطلب هو الاستعاذة ، وهو قوله : «أعوذ بالله» إذا عرفت ما ذكرنا يظهر لك أن الركن الأعظم في الاستعاذة هو علمه بالله، وعلمه بنفسه، أما علمه بالله فهو أن يعلم كونه سبحانه وتعالى عالماً بجميع المعلومات، فإنه لو لم يكن الأمر كذلك لجاز أن لا يكون الله عالماً به ولا بأحواله، فعلى هذا التقدير تكون الاستعاذة به عبثاً، ولا بدّ وأن يعلم كونه قادراً على جميع الممكنات وإلا فربما كان عاجزاً عن تحصيل مراد العبد، ولا بدّ أن يعلم أيضاً كونه جواداً مطلقاً، إذ لو كان البخل عليه جائزاً لما كان في الاستعاذة فائدة، ولا بدّ أيضاً وأن يعلم أنه لا يقدر أحد سوى الله تعالى على أن يعينه على مقاصده، إذ لو جاز أن يكون غير الله يعينه على مقاصده لم تكن الرغبة قوية في الاستعاذة بالله، وذلك لا يتم إلا بالتوحيد المطلق وأعني بالتوحيد المطلق أن يعلم أن مدبر العالم واحد، وأن يعلم أيضاً أن العبد غير مستقل بأفعال نفسه؛ إذ لو كان مستقلاً بأفعال نفسه لم يكن في الاستعاذة بالغير فائدة، فثبت بما ذكرنا أن العبد ما لم يعرف عزة الربوبية وذلة العبودية لا يصح منه أن يقول: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ومن الناس من يقول: لا حاجة في هذا الذكر إلى العلم بهذه المقدمات، بل الإنسان إذا جوز كون الأمر كذلك حسن منه أن يقول : أعوذ بالله على سبيل الإجمال، وهذا ضعيف جداً لأن إبراهيم عليه السلام عاب أباه في قوله:(لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً) [مريم : ٤٢] فبتقدير أن لا يكون الإله عالماً بكل المعلومات قادراً على جميع المقدورات كان سؤاله سؤالاً لمن لا يسمع ولا يبصر، وكان داخلاً تحت ما جعله إبراهيم عليه السلام عيباً على أبيه، وأما علم العبد بحال نفسه فلا بدّ وأن يعلم عجزه وقصوره عن رعاية مصالح نفسه على سبيل التمام، وأن يعلم أيضاً أنه بتقدير أن يعلم تلك المصالح بحسب الكيفية والكمية لكنه لا يمكنه تحصيلها عند عدمها ولا إبقاؤها عند وجودها، إذا عرفت هذا فنقول: إنه إذا حصلت هذه العلوم في قلب العبد وصار مشاهداً لها متيقناً فيها وجب أن يحصل في قلبه تلك الحالة المسماة بالانكسار والخضوع، وحينئذٍ يحصل في قلبه الطلب، وفي لسانه اللفظ الدال على ذلك الطلب، وذلك هو قوله: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) والذي يدل على كون الإنسان عاجزاً عن تحصيل مصالح نفسه في الدنيا

والآخرة أن الصادر عن الإنسان إما العمل وإما العلم ، وهو في كلا البابين في الحقيقة في غاية العجز، أما العلم فما أشد الحاجة في تحصيله إلى الاستعاذة بالله، وفي الاحتراز عن حصول ضده إلى الاستعاذة بالله . [1]

قلت : هكذا ينبغى أن تكون الاستعاذة أما إذا كانت الاستعاذة مجرد حروف وكلمات تمر على اللسان بدون أن يأخذ القلب حظه منها فلا قيمة لها ولا عبرة بها وإذن فالأوفق أن يأخذ القلب حظه من معنى الاستعاذة كاللسان، فإذا كان حظ اللسان أن يتحرك بالحروف والكلمات فإن حظ القلب أن يتحرك بهذه المعانى والأحاسيس حتى تؤتى الاستعاذة ثمرتها المرجوة . والله أعلم

المطلب الثانى : البسملة وأحكامها

ويشتمل على :

أولا : معنى البسملة .

ثانيا : أحكام البسملة .

أولا : معنى البسملة [2]

---

(١) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (١/ ٧١ وما بعدها) دار إحياء التراث العربي – بيروت

(٢) البسملة من الكلمات المنحوتة والكلمة المنحوتة: كلمة مكونة من الحروف الأولى لعدَّة كلمات ، وقد تكون مركَّبة من حروفٍ مأخوذة من كلمتين أو أكثر مثل البسملة من (بسم الله الرحمن الرحيم)، و الحوقلة من (لا حول ولا قوّة إلاّ بالله).والاستعاذة من أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وهكذا

معجم اللغة العربية المعاصرة بتصرف يسير (٣/ ٢١٧٦) للدكتور/ أحمد مختار عبد الحميد عمر.

١- كلمة "بسم"

مذهب البصريين أن الاسم مشتق من السمو بمعنى الرفعة والعلو، وقيل : مشتق من السمة بمعنى العلامة وهو مذهب الكوفيين ، والقول الأول أصح ، لأنا نقول فى الجمع أسماء ، وفى التصغير سمى ، قال تعالى :"ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها " والجموع والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها كما هو معلوم من اللغة

قال العلامة القرطبى :

اختلفوا في اشتقاق الاسم على وجهين، فقال البصريون: هو مشتق من السمو ، وهو العلو والرفعة، فقيل: اسم لأن صاحبه بمنزلة المرتفع به. وقيل : لأن الاسم يسمو بالمسمى فيرفعه عن غيره. وقيل : إنما سمى الاسم اسما لأنه علا بقوته على قسمي الكلام: الحرف والفعل، والاسم أقوى منهما بالإجماع لأنه الأصل، فلعلوه عليهما سمى اسما فهذه ثلاثة أقوال. وقال الكوفيون: إنه مشتق من السمة وهي العلامة، لأن الاسم علامة لمن وضع له، فأصل اسم على هذا" وسم".[1]

قال: والأول أصح، لأنه يقال في التصغير سمى وفي الجمع أسماء، والجمع والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها، فلا يقال: وسيم ولا أوسام. [2]

٢- كلمة " الله" علم على الذات الأقدس سبحانه و لم يسم به غيره ، لذلك ذهب بعض العلماء إلى أنه اسم الله الأعظم ، ولذلك فإنه يوصف بغيره من أسمائه سبحانه ، ولا يكون هو صفة لغيره ، ولا يثنى ولا يجمع ، ومعناه : الذى يستحق أن يعبد .

هذا وقد اختلف العلماء فى الاسم : هل هو مشتق أو هو علم مرتجل للذات الأقدس ؟

---

(١) ينظر : الزاهر في معاني كلمات الناس لأبى بكر الأنبارى ص ٥٣

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ١٠١)

فمن العلماء من يرى أن أصله(إلاه)مثل فعال فأدخلت الألف واللام بدلاً من الهمزة، وقيل أصل الكلمة(لاه) ودخلت الألف واللام للتعظيم.

قال الكسائى [1]: معنى" بسم الله" بسم الإله، فحذفوا الهمزة وأدغموا اللام الأولى فى الثانية فصارتا لاما مشددة، كما قال عز وجل:" لكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي" ومعناه، لكن أنا، كذلك قرأها الحسن. ثم قيل: هو مشتق من" وله" إذا تحير، والوله: ذهاب العقل. يقال: رجل وله وامرأة والهة ووالهه، وماء موله: أرسل في الصحاري ، وأصل" إلاه"" ولاه" وأن الهمزة مبدلة من واو كما أبدلت في أشاح ووشاح، وإسادة ووسادة.

قال العلامة الزبيدي [2] : أله إلاهة ، بالكسر، وألوهة وألوهية ، بضمهما: عبد عبادة ومنه قرأ ابن عباس: (ويذرك وإلاهتك) ، بكسر الهمزة، قال: أي عبادتك؛ وكان يقول: إن فرعون يعبد ولا يعبد؛ نقله الجوهري وهو قول ثعلب، فهو على هذا ذو إلاهة لا ذو آلهة؛ والفراء على القراءة المشهورة، قال ابن بري: ويقوي ما ذهب إليه ابن عباس قول فرعون: (أنا ربكم الأعلى) ، وقوله: (ما علمت لكم من إله غيري) .ومنه لفظ الجلالة .(وقال الليث: بلغنا أن اسم الله الأكبر هو الله لا إله إلا هو وحده.

ثم قال: وهو قول كثير من العارفين، واختلف فيه على عشرين قولا ذكرتها في (المباسيط) ،قال شيخنا: بل على أكثر من ثلاثين قولا، ذكرها المتكلمون على البسملة، وأصحها أنه علم للذات الواجب الوجود المستجمع لجميع صفات الكمال غير مشتق، وقال ابن العربي: علم دال على الإله الحق دلالة جامعة لجميع الأسماء. [3]

---

٣ - قوله : (الرحمن الرحيم) اسمان من أسماء الله – عز وجل – عظيمان رقيقان، أحدهما أرق من الآخر ، يفيضان رقة ونداوة ، يدلان على عظيم رحمته - سبحانه وتعالى -

---

(١)على بن حمزة أبو الحسن الأسدىّ المعروف بالكسائىّ النحوىّ المتوفى ١٨٩هـ" (انباء الرواة على أنباء النحاة (٢/ ٢٥٦)

(٢) محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) ترجمته في تاريخ الجبرتي ٢: ١٩٦، وحلية البشر ٣: ١٤٩٢

(٣) تاج العروس (٣٦/ ٣٢٠)

ولقد تكلم العلماء قديما وحديثا حول هذين الاسمين الجليلين من حيث مدلول كل اسم منهما هل هما بمعنى واحد أو لا ؟ لكن بداية أحب أن أقول إن هذين الاسمين الجليلين مشتقان من الرحمة

قال الراغب [1]: الرحمة – في اللغة – رقة مقتضية للتعطف والتفضل، فمبدأها الرقة التي هي انفعال، ومنتهاها: العطف والتفضل الذي هو فعل.فالإنسان إذا وصف بالرحمة، فتارة يراد به حصول المبدأ الذي هو الرقة، وتارة يراد به المنتهى الذي هو التفضل والعطف، وتارة يرادان معاً، وإذا وصف بها البارى، فليس يراد به إلا المنتهى الذي هو الفعل دون المبدأ الذي هو الانفعال، إذ هو منزه عن الانفعالات وعن كل نقص تعالى الله عن ذلك، " إلى أن قال رحمه الله : وهذا التفسير هو على ما روى عن التابعين، حيث قالوا " الرحمة من الله إنعام وإفضال، ومن الآدميين: رقة وتعطف وهذه الطريقة أظهر وأبين وأشبه بنظر السلف، من نظر من تخبط في تفسير ذلك زاعماً أن الوصف لا يختلف معانيه باختلاف الموصوفين، وذلك أن فاعل ذلك لم يتصور أنه قد يكون بين مبدأ المعنى ومنتهاه بون بعيد.

أما فيما يتعلق بمدلول هذين الاسمين فقد اختلف العلماء حول هذين الاسمين هل هما بمعنى واحد أو لا ؟ أقول يرى بعض العلماء أنهما بمعنى واحد يدلان على عظيم الرحمة جاء أحدهما بعد الآخر على سبيل التوكيد قال الراغب أيضا : قال قطرب: هما اسمان، ذكر أحدهما تأكيدا للآخر، مثل: لهفان، ولهيف، وندمان، ونديم.

وقال المبرد: هذا تمام بعد إتمام ، وتفضل بعد تفضل، وتطميع لقلوب الراغبين، ووعد لا يخيب آمله، ومعناه: ذو الرحمة، والرحمة هي الإنعام والتفضل.

---

(١) ا لحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي له كتاب المفردات في غريب القرآن . توفي سنة ٥٠٢ هـــ (الأعلام للزركلي (٢/ ٢٥٥)

وقال بعضهم: هما متغايران ثم اختلفوا فذهب بعضهم إلى أن : للرحمن معنى العموم، وللرحيم معنى الخصوص، فعلى هذا " الرحمن " بمعنى الرازق في الدنيا، والرزق على العموم للكافر والمؤمن، و " الرحيم " بمعنى العافي في الآخرة، والعفو في الآخرة على الخصوص للمؤمنين دون الكافرين. ولذلك قيل في الدعاء: " يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة ". " فالرحمن " من تصل رحمته إلى الخلق على العموم، و " الرحيم " من تصل رحمته إلى الخلق على الخصوص؛ ولذلك يدعى غير الله رحيما، ولا يدعى رحمانا؛ لأن الله تعالى هو الذي تصل رحمته إلى الخلق، كأنه كما قال تعالى: (ورحمتي وسعت كل شيء) . وأما غير الله قد يخص شيئا بالرحمة؛ فيكون بذلك رحيما.[1]

قال صاحب التفسير الوسيط : والذي يراه المحققون من العلماء أن الصفتين ليستا بمعنى واحد، بل روعي فى كل منهما معنى لم يراع فى الآخر، فالرحمن بمعنى عظيم الرحمة، لأن فعلان صيغة مبالغة في كثرة الشيء وعظمته، ويلزم منه الدوام كغضبان وسكران. والرحيم بمعنى دائم الرحمة، لأن صيغته فعيل تستعمل في الصفات الدائمة ككريم وظريف. فكأنه قيل: العظيم الرحمة الدائمة ، أو أن الرَّحْمن صفة ذاتية هي مبدأ الرحمة والإحسان. والرَّحِيم صفة فعل تدل على وصول الرحمة والإحسان وتعديهما إلى المنعم عليه.

ولعل مما يؤيد ذلك أن لفظ الرحمن لم يذكر في القرآن إلا مجرى عليه الصفات كما هو الشأن في أسماء الذات. قال- تعالى-: (الرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ) سورة الرحمن الآية رقم (١) و (الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى) سورة طه الآية رقم (٥)،(قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ) سورة الإسراء الآية (١١٠) ، وهكذا ...

أما لفظ الرحيم : فقد كثر في القرآن استعماله وصفا فعليا، وجاء في الغالب بأسلوب التعدية والتعلق بالمنعم عليه. قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ) سورة البقرة الآية (١٤٣) و (وَكانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً) الأحزاب الآية (٤٣)، و (إِنَّهُ كانَ بِكُمْ رَحِيماً) سورة النساء الآية (٢٩) إلخ.

---

(١) المفردات بتصرف يسير ١/ ٣٤٧،٣٤٨

قال بعض العلماء «وهذا الرأى في نظرنا هو أقوى الآراء، فإن تخصيص أحد الوصفين بدقائق النعم أو ببعض المنعم عليهم لا دليل عليه، كما أنه ليس مستساغا أن يقال في القرآن:

إن كلمة ذكرت بعد أخرى لمجرد تأكيد المعنى المستفاد منها [1]

ثانيا : أحكام البسملة .

الحكم الأول :

هل البسملة آية من الفاتحة وسائر سور القرآن أو لا ؟

أجمع المسلمون على أن بسم الله الرحمن الرحيم جزء آية من سورة النمل وأن منكرها أو منكر حرف منها كافر بالإجماع لكن الخلاف الواقع بين العلماء إنما هو فى البسملة الموجودة فى أوائل سور القرآن الكريم سوى براءة، وبالتتبع للأقوال الواردة فى المسألة نجد أنها منحصرة فى أربعة أقوال كالآتى:[2]

القول الأول : أن البسملة آية من أول الفاتحة ومن أول كل سورة ذكرت فيها سوى سورة براءة وهو قول الشافعية. واستدلوا بما يأتى:

١- أن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم قد أثبتوها فى المصاحف فى أوائل السور سوى سورة براءة وبنفس خط المصحف بخلاف علامات الأعشار وتراجم السور؛ فإنها كتبت بغير خط المصحف، فلو لم تكن قرانا لما استجازوا إثباتها بخط المصحف من غير تمييز؛ لأن ذلك يحمل على اعتقاد أنها قرآن، ويكون ذلك تغريراً بالمسلمين حاملين لهم على اعتقاد ما ليس بقران قرآنا وهذا مما لا يجوز اعتقاده فى الصحابة رضى الله عنهم .

---

(١) التفسير الوسيط للعلامة الدكتور محمد سيد طنطاوي (١/ ١٦)

(٢) استفدت الأدلة والردود من المجموع للنووى ٣/٣٣٥، ٣٣٦ والإقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع ١/١٣٤ ونهاية المحتاج ١/ ٤٨٠ وأسنى المطالب فى شرح روض الطالب ١/ ١٥٠

قال الحافظ البيهقى: أحسن ما يحتج به أصحابنا الشافعية كتابتها فى المصاحف التى قصدوا بكتابتها نفى الخلاف عن القران، فكيف يتوهم عليهم أنهم أثبتوا مائة وثلاث عشرة أية ليست من القران، وقال الغزالى : أظهر الأدلة كتابتها بخط القرآن، قال: فإن قيل لعلها أثبتت للفصل بين السور فجوابه من أوجه :

أحدها: أن هذا فيه تغرير لا يجوز ارتكابه لمجرد الفصل .

والثانى: لو كان للفصل لكتبت بين براءة والأنفال ، ولما حسن كتابتها فى أول الفاتحة

الثالث : أن الفصل كان ممكناً بتراجم السور كما حصل بين براءة والأنفال ، فإن قيل لعلها كتبت للتبرك بذكر الله فجوابه من هذه الأوجه الثلاثة ومن وجه رابع : إنها لو كانت للتبرك لاكتفى بها فى أول المصحف أو لكتبت فى أول براءة ولما كتبت فى أوائل السور التى تبدأ بذكر الله كالفاتحة والأنعام والإسراء والكهف والحديد ونحوها، فلم يكن حاجة إلى البسملة ولأنهم قصدوا تجريد المصحف مما ليس بقرآن ولهذا لم يكتبوا التعوذ والتأمين مع أنه صح الأمر بها ولأن النبى صلى الله عليه وسلم لما تلا الآيات النازلة فى براءة عائشة رضى الله عنها لم يبسمل فلو كانت للتبرك لكانت الآيات النازلة فى براءة عائشة أولى بالتبرك لما دخل على النبى - صلى الله عليه وسلم - من السرور بذلك .[1]

٢- استدلوا بحديث أم سلمة أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فى أول الفاتحة. [2]

٣- استدلوا بحديث ابن عباس فى قوله " ولقد آتيناك سبعا من المثانى "[3]

٤- وبحديث أنس أنزلت على آنفاً سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم " إنا أعطيناك الكوثر..."

---

(١) المجموع للنووي (٣/٣٣٦)

(٢)أورده النووي في خلاصة الأحكام (١/ ٣٦٦) وعزاه إلى ابن خزيمة وضعفه .

(٣)أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة باب من قال هي من الطول (٢/٧٢رقم ١٤٥٩)

[1]- ٥ - وبحديث أنس أنه سئل عن قراءة النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال :كانت مداً[2]

٦- وحديث ابن عباس: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يعرف فصل السورة حتى تنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم. [3]

٧- قالوا : ويعترف النافون لقرآنية البسملة أنها كتبت بأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى أوائل السور مع إخباره - صلى الله عليه وسلم - أنها منزلة ، وهذا موهم كل أحد أنها قرآن ، فلا وجه لترك بيانها لو لم تكن قرآنا.

القول الثانى : أن البسملة فى أوائل السور كلها ليست قرآنا لا فى الفاتحة ولا فى غيرها، وهو مذهب مالك ومشهور مذهب أبى حنيفة ورواية عن أحمد ورواية عن أبى داود وآخرين ، واستدل أصحاب هذا القول بأدلة منها:

١- أن القرآن لا يثبت بالظن ، ولا يثبت إلا بالتواتر ، أو بعبارة أخرى : القرآن لا يختلف فيه ، والبسملة فيها خلاف.[4]

٢- واستدلوا بالحديث القدسى " قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل ،

---

(١)أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة باب حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة (١/٣٠٠ رقم (٤٠٠)

(٢)أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن باب مد القراءة (٦/١٩٥ رقم ٥٠٤٦)

(٣)أخرجه أبو داود في السنن كتاب الصلاة - باب من جهر بها (١/٢٠٩ رقم ٧٨٨) وقال النووي في خلاصة الأحكام (١/ ٣٦٧) : رواه أبو داود، والحاكم، وقال: " صحيح على شرط البخاري ومسلم ".

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٩٤) ، اللباب في تفسير الكتاب (١/١٥١) .

فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين..." فبدأ بالحمد و لم يذكر البسملة [1]

٣- حديث عائشة فى مبدأ الوحى أن جبريل - عليه السلام - أتى النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال : " اقرأ باسم ربك ..." و لم يذكر البسملة فى أولها. [2]

٤- بحديث أنس وفيه (صليت خلف النبى - صلى الله عليه وسلم - وأبى بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم فى أول قراءة ولا فى آخرها.[3]

٥- قالوا : لو كانت البسملة من القرآن لكفر جاحدها ، لكن الأمة أجمعت على أنه لا يكفر

٦- قالوا أيضا : أهل العد مجمعون على ترك عدها آية من غير الفاتحة واختلفوا فى عدها فى الفاتحة

٧- أهل المدينة بأسرهم من زمن الإمام مالك وإلى عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين.[4]

أجاب الشافعية عن أدلة النافين كالآتي :

١- قولهم القرآن لا يثبت إلا بالتواتر والبسملة ليست كذلك أجيب بأنه ليس من شرط التواتر أن يحفظ الكل عن الكل ، بل يكفى أن يحفظ القرآن ، أو ينقل عن عدد يصل إلى التواتر ؛ فمثلا قراءة عاصم متواترة عند قوم وليست متواترة عند آخرين ، وكذلك قراءة

---

(١) سبق تخريجه .وهو حديث صحيح .

(٢)أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي (١/٧رقم ١)

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة (رقم ٣٩٩١/ ح ٢٩٩

(٤) تنظر الأدلة فى المجموع للنووى ٣/٣٣٥،٣٣٦ والإقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع ١/١٣٤ ونهاية المحتاج ١/ ٤٨٠

ابن عامر وقراءة الكسائى وغيرهما ، ورغم ذلك لم يقل أحد أنها ليست متواترة لكونها ليست متواترة عند الكل ، بل قد يكون أهل بلد من عرفت القراءة باسمه ليسوا على علم بها ، على أن إثباتها فى المصحف فى معنى التواتر إن لم يكن التواتر عينه.

٢- وأما حديث أبى هريرة فيجاب عنه بأن البسملة لم تذكر لاندراجها فى الآيتين بعدها ، أو لعله قبل نزول البسملة ، فإن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان يترل عليه الآية فيقول ضعوها فى سورة كذا ، على أنه قد جاء ذكر البسملة فى رواية الدارقطنى والبيهقى فقال: فإذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم فيقول الله : ذكرنى عبدى [1].

قال الإمام الفخر الرازى فى الرد على هذا الاستدلال :

والجواب عن هذه الحجة من وجوه:

الأول:أنا نقلنا أن الشيخ أبا إسحاق الثعلبى روى بإسناده أن النبى - صلى الله عليه وسلم - لما ذكر هذا الحديث عد بسم الله الرحمن الرحيم آية تامة من سورة الفاتحة،

ولما تعارضت الروايتان فالترجيح معنا، لأن رواية الإثبات مقدمة على رواية النفى.

الثاني:روى أبو داود السختيانى عن النخعى عن مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال: وإذا قال العبد : مالك يوم الدين يقول الله تعالى : مجدنى عبدى وهو بينى وبين عبدى،

إذا عرفت هذا فنقول: قوله في مالك يوم الدين هذا بينى وبين عبدى، يعنى فى القسمة، وإنما يكون كذلك إذا حصلت ثلاثة قبلها وثلاثة بعدها، وإنما يحصل ثلاثة قبلها لو كانت التسمية آية من الفاتحة فصار هذا الخبر حجة لنا من هذا الوجه.

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى كتاب الصلاة - باب تعيين القراءة بفاتحة الكتاب (٥٩/٢ ح ٢٣٦٨)

الثالث: أن لفظ النصف كما يحتمل النصف في عدد الآيات فهو أيضا يحتمل النصف في المعنى،

قال عليه الصلاة والسلام: الفرائض نصف العلم [1]،وسماه بالنصف من حيث إنه بحث عن أحوال الأموات، والموت والحياة قسمان، وقال شريح: أصبحت ونصف الناس على غضبان، سماه نصفا من حيث إن بعضهم راضون وبعضهم ساخطون،

الرابع: إن دلائلنا في أن بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة صريحة، وهذا الخبر الذى تمكسوا به ليس المقصود منه بيان أن بسم الله الرحمن الرحيم هل هى من الفاتحة أم لا، لكن المقصود منه بيان شيء آخر، فكانت دلائلنا أقوى وأظهر.

الخامس: أنا بينا أن قولنا أقرب إلى الاحتياط.

٣- وأجابوا عن حديث شفاعة تبارك بأن يكون مراد النبى - صلى الله عليه وسلم - ما سوى البسملة لأنها غير مختصة بهذه السورة أو أن ذلك قبل نزول البسملة فيها فلما نزلت أضيفت إليها بدليل كتابتها فى المصاحف .

٤- وعن حديث عائشة فى بدء الوحى بأن البسملة يمكن أن تكون نزلت بعد ذلك كنظائر لها من الآيات المتأخرة .

٥- وعن حديث أنس بأنه فى الجهر بها وعدم الجهر .

٦- وأما قولهم : لو كانت قرآنا لكفر جاحدها فجوابه من وجهين :

الأول : أن يقلب عليهم الاستدلال فيقال : لو لم تكن قرآنا لكفر مثبتها لكن الأمة أجمعت على أنه لا يكفر ،

الثانى : أن الكفر لا يكون بالظنيات بل بالقطعيات والبسملة ظنية.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن كتاب الفرائض – باب في الحث على تعلم الفرائض (٢/٩٠٨ رقم ٢٧١٩) وإسناده ضعيف فيه حفص بن عمر ضعفه الأئمة .

٧- وأما قولهم : أجمع أهل العدد على أنها لا تعد آية فجوابه من وجهين :

أحدهما: أن أهل العدد ليسوا كل الأمة فيكون إجماعهم حجة بل هم طائفة من الناس عدوا كذلك؛ إما لأن مذهبهم نفى البسملة وإما لاعتقادهم أنها بعض آية وأنها مع أول السورة آية، الثانى : أنه معارض بما ورد عن ابن عباس وغيره " من تركها فقد ترك مائة وثلاث عشرة آية.

٨- أما نقل أهل المدينة وإجماعهم فإننا لا نسلم هذا الإجماع ، بل لقد اختلف أهل المدينة فى ذلك وإنكار المهاجرين والأنصار على معاوية حين تركها يبطل القول بإجماع أهل المدينة، على أن أهل مكة لم يختلفوا أن بسم الله الرحمن الرحيم أول آية من الفاتحة فلو ثبت إجماع أهل المدينة لم يكن حجة مع وجود الخلاف لغيرهم .

المذهب الثالث: فيرى أصحابه أن كتابتها فى المصاحف يدل على أنها قرآن ، ولكن لا يدل على أنها بعض السورة، والأحاديث التى تدل على عدم قراءتها جهراً فى الصلاة مع الفاتحة تدل على أنها ليست منها، فحكموا بأنها آية من القرآن تامة فى غير سورة النمل أنزلت للفصل بين السور واستدلوا على ذلك بما يلى:

١- حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يعرف الفصل بين السور حتى تنزل عليه " بسم الله الرحمن الرحيم" (١)

٢- قال الإمام أبو بكر الرازى: ومذهب أصحابنا أنها ليست بآية من أوائل السور لترك الجهر بها، ولأنها إذا لم تكن من فاتحة الكتاب فكذلك حكمها فى غيرها .

٣- واستدلوا أيضاً بحديث أن سورة فى القرآن ثلاثون آية شفعت لصاحبها حتى غفر له

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة – باب الجهر بالبسملة (٢٠٩ رقم ٧٨٨) وإسناده صحيح

"تبارك الذى بيده الملك..."[1].

٤- أجمع العلماء على أن سورة الكوثر ثلاث آيات والإخلاص أربع آيات، فلو كانت منها لكانت أكثر مما عدوا ([2])

الرأى الراجح

وبعد كل هذا الذى سبق من أقوال الأئمة يترجح قول الإمام الشافعى لقوة أدلته؛ ذلك لأن البسملة كتبت فى صحف أبى بكر رضى الله عنه وهى منقولة عما كتب أمام رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كما هو معلوم عند أهل العلم ثم فى المصاحف التى كتبت فى عهد عثمان رضى الله عن الجميع وقد اتفق الصحابة على أنهم لن يكتبوا فى المصاحف إلا ما ثبتت قرآنيته وأمر عثمان - رضى الله عنه - بحرق المصاحف المخالفة التى ربما فيها ما ليس بقرآن حتى لا يؤدى ذلك إلى استمرار النزاع الناتج عن وجود ما ليس بقرآن فى المصاحف وقتئذ ، فكونهم يكتبونها بنفس خط المصحف وإقرار الصحابة لذلك ، فذلك منهم إجماع على قرآنيتها ، أقول : حيث إن الثابت أن البسملة كتبت بإشراف سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبالتالى عند جمع القرآن على عهد أبى بكر - رضى الله عنه - نقلت البسملة كما نقلت غيرها من الآيات فى الصحف ثم فى المصاحف على عهد عثمان - رضى الله عنه- ومن هنا فقد أجمع العلماء على أن ما بين دفتى المصحف قرآن .قال الإمام الرازى رحمه الله "والذى عندى فيه أن النقل المتواتر ثابت بأن بسم الله الرحمن الرحيم كلام أنزله الله على محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وبأنه مثبت في المصحف بخط القرآن وعند هذا ظهر أنه لم يبق لقولنا أنه من القرآن أو ليس من القرآن فائدة "[3]

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه أبواب الأدب- باب ثواب القرآن (٢/ ١٢٤٤ رقم ٣٧٨٦) وإسناده صحيح .

[2] -أحكام القرآن ١/٩-١١، ومفاتيح الغيب للفخر الرازي (١/ ١٧٧) وتنظر الأدلة والردود فى المجموع ٣/٣٣٥،٣٣٦ والإقناع ١/١٣٤ ومغنى المحتاج١/٣٥٥ وحاشية البجيرمى على الخطيب ٢/ ٢٤

[3] - التفسير الكبير ١/١٩٦.

قلت : هذا بالإضافة إلى أن كون البسملة قرآنا ثابت عند بعضهم وإن نفاه آخرون والمثبت مقدم على النافى.فقد أخرج الشافعى بسنده أن معاوية قدم المدينة فصلى بهم ، ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، ولم يكبر عند الخفض إلى الركوع والسجود ، فلما سلم ناداه المهاجرون والأنصار يا معاوية سرقت من الصلاة، أين بسم الله الرحمن الرحيم ؟ وأين التكبير عند الركوع والسجود ؟ ثم إنه أعاد الصلاة مع التسمية والتكبير ، قال الشافعى: إن معاوية كان سلطاناً عظيم القوة ، شديد الشوكة، فلولا أن الجهر بالتسمية كان كالأمر المتقرر عند الصحابة من المهاجرين والأنصار، وإلا لما قدروا على إظهار الإنكار عليه بسبب ترك التسمية .[1]

قلت بقى أن يقال : إن هذه المسألة من المسائل التى طال حولها نزاع كبير قديماً وحديثاً لدرجة أن بعضهم كتب فيها كتباً كالشيخ أبى محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسى الدمشقى وغيره، ومن هنا ما إن نجد أحداً يرجح رأياً من وجهة نظره حسبما هداه الله تعالى من خلال الأدلة التى أوردها حتى نجد أخر يرجح غيره لذلك السبب، وإذن فهى مسألة خلافية ولا إنكار فى المختلف فيه .

وعلى أية حال فهذه المسألة رغم أن المتكلمين فيها من الفقهاء ، لكن كان ينبغى أن تكون مسألة قراءات بدرجة أولى وأهم فيقال مثلاً : إن للقرآن فى طريق ثبوته طريقين الأول : المصاحف وقد ثبتت فيه كتابة البسملة بنفس خط المصحف وبدون نكير من السلف والخلف كما سبق ، والثانى : النقل فنجد أن معظم القراء قد أثبتها فى أوائل السور.

وعليه فإذا كنا نقرأ القرآن بقراءة إمام قد تلقى هذا القرآن بسنده المتواتر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبسملة أوائل السور فينبغى أن نثبتها تبعاً له ، وإلا تكن الختمة بالنسبة لمن يريد أن يختم القرآن ناقصة ثلاث عشرة ومائة آية لأننا تركنا البسملة التى تلقاها بالسند أوائل السور وهذا عجيب أن نأخذ عنه البعض ونترك البعض الآخر رغم تلقى الجميع بالسند وإذا كنت تقرأ بقراءة إمام لا يثبت البسملة فى أوائل السور لا تثبتها تبعا له

(١) أخرجه الشافعي في المسند ص ٣٧ ومن طريقه أخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار (٣٧٤/٢ رقم ٣٠٨٧)

وإلا نكون قد زدنا شيئاً على ما قد تلقيناه عنه والله أعلم

الحكم الثانى

ما حكم الجهر والإسرار بالبسملة[1] ؟

اختلف العلماء فى حكم الجهر والإسرار بالبسملة تبعاً لاختلافهم السابق فى حكم البسملة أهى آية فى أول الفاتحة أم لا ؟ وأيضا بسبب اختلاف الآثار الواردة فى المسألة وكان اختلافهم على النحو التالى[2]:

المذهب الأول : مذهب الإمام الشافعى أنه يقرأ بها وجوبا جهراً فى الجهرية وسراً فى السرية واستدل على ذلك بما يأتى :

١- حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - أنه قرأها فى الصلاة وقد صح عنه أنه قال : ما أسمعنا رسول الله أسمعناكم وما أخفى علينا أخفيناه عليكم متفق عليه.[3]

٢- حديث أنس رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم جهر ببسم الله الرحمن الرحيم وقال أقتدى بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .[4]

---

(١)تاج العروس (٢٨/ ٨٦)
ووردت أيضا في كلام غيره، وروى: فيا بأبي ذاك الغزال المبسمل وقد أشار إليه الشهاب في العناية.
وفي التهذيب: بسمل: كتب بسم الله. (تاج العروس ٢٨/ ٨٧)

(٢)استفدت الأدلة فى المجموع ٣٤٢/٣ومابعدها بتصرف وحاشية الرملى على الكبير ١٥٣/١ ومابعدها ، والغرر البهية فى شرح البهجة الوردية ١/ ٣٠٩وحاشية الجمل على شرح المنهج ١٤٥/١

(٣)أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣٦٣/٢، رقم ٣٧١٥) .

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب الصلاة (٣٥٨/١ رقم ٨٥٤) وقال الحاكم : رُوَاةُ هَذَا الْحَدِيثِ، عَنْ آخِرِهِمْ ثِقَاتٌ. ووافقه الذهبي .

٣- عَنْ نُعَيْمٍ الْمُجْمِرِ قَالَ صَلَّيْتُ وَرَاءَ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَرَأَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ثُمَّ قَرَأَ بِأُمِّ القرآن قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَشْبَهُكُمْ صَلَاةً بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .(١)

٤- عن أم سلمة أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ فى الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم وعدها آية والحمد لله رب العالمين آيتين.(٢)

٥- ولأن بسم الله الرحمن الرحيم يستفتح بها سائر السور فاستفتاح الفاتحة بها أولى لأنها أول القرآن وفاتحته.

قال الإمام النووى: وهذا قول أكثر العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الفقهاء والقراء. إلى أن قال وهو قول سائر أهل مكة وهو أحد قولى ابن وهب صاحب مالك حكى عن ابن المبارك وأبى ثور ثم قال: وفى كتاب الخلافيات للبيهقى عن جعفر بن محمد قال: أجمع أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - على الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم.(٣)

٦- عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا قرأتم الحمد لله رب العالمين ، فاقرؤوا بسم الله الرحمن الرحيم ، إنها أمّ القرآن ، وأمّ الكتاب ، والسبعُ المثاني ، وبسم الله الرحمن الرحيم أحدُ آياتها ».(٤)

---

(١) أخرجه النسائي في سننه كتاب الافتتاح باب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم (١٣٤/٢ رقم ٩٠٥) وابن حبان في صحيحه كتاب صفة الصلاة باب ذكر ما يستحب للمرء الجهر بـ {بسم الله الرحمن الرحيم} (١٠٤/٥ رقم ١٨٠١)

(٢) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه كتاب الصلاة المختصر باب باب ذكر الدليل على أن بسم الله الرحمن الرحيم آية من فاتحة الكتاب (٢٤٨/١ رقم ٤٩٣)
وأخرجه الحاكم في المستدرك كتاب الصلاة (٣٥٦/١ رقم ٨٤٨) قال الحاكم : عمر بن هارون أصل في السنة، ولم يخرجاه وإنما أخرجته شاهدا .

(٣) المجموع للنوي(١/ ٣٤٢)

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى كتاب صفة الصلاة باب الدليل على أن بسم الله الرحمن الرحيم آية تامة من الفاتحة (٦٧/٢ رقم ٢٣٩٠)

وقال أبو محمد : واعلم أن أئمة القراء السبعة منهم من يرى البسملة بلا خلاف عنه ومنهم من يروى عنه الأمران وليس منهم من لم يبسمل بلا خلاف عنه ؛ فقد بحثت عن ذلك أشد البحث فوجدته كما ذكرته ثم كل من رويت عنه البسملة ذكرت بلفظ الجهر به إلا روايات شاذة جاءت عن حمزة رضى الله عنه بالإسرار بها.

المذهب الثانى :

أنه لا يقرأ بها فى الصلاة المكتوبة جهراً كانت الصلاة أو سراً لا فى استفتاح أم القرآن ولا فى غيرها من السور وأجاز قراءتها فى النافلة واستدلوا بما يأتى:

١-حديث عبد الله بن مغفل قال: "سمعنى أبى وأنا أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فلما انصرف قال يا بني إياك والحدث فإني صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف أبي بكر وخلف عمر وعثمان رضي الله عنهم فكانوا لا يستفتحون القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم ولم أر رجلا منهم قرأها "[١]

٢- حديث عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه و سلم كان يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين . [٢]

٣- حديث أنس أنه قال: قمت وراء أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم فكلهم كان لا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إذا افتتح الصلاة.[٣] .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٧٥/٣٤ رقم ٢٠٥٥٨) و أخرجه عبد الرزاق (٨٨/٢، رقم ٢٦٠٠) ، وابن أبى شيبة (٣٥٩/١، رقم ٤١٢٨) قال الشيخ الأرنؤوط : إسناده حسن .

(٢)أخرجه مسلم في صحيحه (٣٥٧/١، رقم ٤٩٨) ، وأبو داود في سننه كتاب الصلاة باب من لم ير الجهر ب «بسم الله الرحمن الرحيم» (٢٠٨/١، رقم ٧٨٣) .و عبد الرزاق (٨٩/٢، رقم ٢٦٠٢) ، وابن أبى شيبة (٣٦٠/١، رقم ٤١٣١) .

(٣) أخرجه مالك في الموطأ كتاب الصلاة باب العمل في القراءة (٨٠/١ رقم ٣٠) والبيهقى (٥١/٢، رقم ٢٢٤٦)

وفى بعض الروايات أنه قام خلف النبى صلى الله عليه وسلم فكان لا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم .[1]

قال أبو عمر : إن أهل الحديث قالوا فى حديث أنس هذا : إن النقل فيه مضطرب اضطرابا لا تقوم به حجة ، وذلك أنه مرة روى عنه مرفوعاً إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - ومرة لم يرتفع ومرة ذكر عثمان ومرة لم يذكر ومنهم من يقول : فكانوا لا يقرؤون بسم الله ومنهم من يقول : فكانوا لا يقرؤون بسم الله الرحمن الرحيم ومنهم من يرويه بلفظ فكانوا لا يجهرون ببسم الله .[2]

٤- قال ابن العربى : إن مذهبنا يترجح فى ذلك بوجه عظيم وهو المعقول وذلك أن مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة انقضت عليه العصور ومرت عليه الأزمنة والدهور من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زمان مالك و لم يقرأ أحد فيه قط بسم الله الرحمن الرحيم اتباعاً للسنة وهذا برد ما ذكرتموه بيد أن أصحابنا استحبوا قراءتها فى التنفل وعليه تحمل الآثار الواردة فى قراءتها أو على السعة فى ذلك .[3]

المذهب الثالث : يرى أصحابه أن البسملة تقرأ سراً لا جهراً فى كل ركعة من الركعات وروى أن يقرأها فقط فى الركعة الأولى واستدلوا :

١- بحديث أنس السابق وفيه :" صليت مع النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان فكانوا يفتتحون بالحمد لله رب العالمين لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم فى أول القراءة ولا فى آخرها" وفى رواية فلم أسمع أحداً منهم يقرأ [4]

٢- وبحديث ابن مسعود رضى الله عنه قال: ما جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صلاة مكتوبة ببسم الله الرحمن الرحيم ولا أبو بكر ولا عمر.[1]

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة (٢٩٩/١ رقم ٣٩٩)

(٢) الاستذكار بتصرف يسير (١/ ٤٣٧)

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٦)

(٤) سبق تخريجه .

٣- سئل الدارقطني بمصر حين صنف كتاب الجهر فقال: لم يصح في الجهر بها حديث .[1]

٤- قالوا: ولأنه لو كان الجهر ثابتاً لنقل نقلاً متواتراً أو مستفيضاً كوروده في سائر القراءة.

وبعد : فقد رأيت معي أخي الكريم أن هذه المسألة شائكة ومتشعبة ولكل دليله، لكن هنا أحب أن أقف معك على قول الإمام الفخر رحمه الله في التفسير إذ يقول:" والجواب عن خبر أنس من وجوه:

الأول: قال الشيخ أبو حامد الإسفرايني: روى عن أنس في هذا الباب ست روايات، أما الحنفية فقد رووا عنه ثلاث روايات: إحداها: قوله صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وخلف أبي بكر وعمر وعثمان ، فكانوا يستفتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين. وثانيتها قوله : أنهم ما كانوا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم. وثالثتها قوله : لم أسمع أحداً منهم قال بسم الله الرحمن الرحيم، فهذه الروايات الثلاث تقوى قول الحنفية، وثلاث أخرى تناقض قولهم: إحداها: ما ذكرنا أن أنسًا روى أن معاوية لما ترك بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة أنكر عليه المهاجرون والأنصار، وقد بينا أن هذا يدل على أن الجهر بهذه الكلمات كالأمر المتواتر فيما بينهم.

وثانيتها : روى أبو قلابة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم وأبا بكر وعمر كانوا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم.[2] وثالثتها : أنه سئل عن الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والأسرار به فقال : لا أدري هذه المسألة فثبت أن الرواية عن أنس في هذه المسألة قد عظم فيها الخبط والاضطراب ، فبقيت متعارضة فوجب الرجوع إلى سائر الدلائل، وأيضاً ففيها تهمة أخرى، وهي أن علياً عليه السلام كان يبالغ في الجهر بالتسمية، فلما وصلت الدولة إلى بني أمية بالغوا في المنع من الجهر، سعياً في إبطال آثار علي عليه السلام، فلعل أنساً خاف

---

(١) أخرجه ابن حزيمه في صحيحه كتاب الصلاة باب ذكر الدليل على أن أنسا إنما أراد بقوله: لم أسمع أحدا منهم يقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم. أي لم أسمع أحدا منهم يقرأ جهرا بسم الله الرحمن الرحيم (١/٢٥٠ رقم ٤٩٦)

(٢) سبق تخريجه من حديث أنس .

منهم فلهذا السبب اضطربت أقواله فيه، ونحن وإن شككنا في شيء فإنا لا نشك أنه مهما وقع التعارض بين قول أنس وابن المغفل وبين قول علي بن أبي طالب عليه السلام الذي بقي عليه طول عمره فإن الأخذ بقول علي أولى، فهذا جواب قاطع في المسألة.

قلت وأياً ما كان الأمر فالمسألة خلافية والخلاف فيها مباح وبأى رأى أحذ الإنسان فصلاته صحيحة إن شاء الله تعالى، ولا ينبغى أن نجعل من مثل هذه المسائل سبيل خلاف بين أفراد الأمة، غاية ما هنالك أن الإنسان إذا وجد أهل قرية على مذهب من هذه المذاهب فالأولى أن يسير عليه، سيما فى المواطن التى تتعصب لرأيها، لأن هذه من المسائل الخلافية فعلى أى مذهب فالصلاة صحيحة وما أجمل ما حدث من الإمام الشافعى حيث صلى رضى الله عنه الصبح قريبا من مقبرة أبي حنيفة رحمه الله فلم يقنت والقنوت عنده سنة مؤكدة فقيل له في ذلك، فقال: «أخالفه وأنا في حضرته ؟» [1]

المطلب الثالث : الكلام على سورة الفاتحة ويشتمل على :

أولا : معانى المفردات .

ثانيا : شرح الآيات .

ثالثا : الأحكام الفقهية .

أولا : معانى المفردات

١- الحمد: نقيض الذم ومعناه: الثناء على المحمود باللسان على الجميل الصادر عن اختيار من غير نعمة أو غيرها.

الحمد :الثناء على المحمود بصفاته من غير سبق إحسان.

---

(١) مفاتيح الغيب (١/ ١٨١)وتنظر الأدلة فى المجموع ٣٤٢/٣ومابعدها بتصرف وحاشية الرملى على الكبير ١٥٣/١ ومابعدها ، والغرر البهية فى شرح البهجة الوردية ٣٠٩/١

قال القرطبي: الحمد في كلام العرب معناه الثناء الكامل، والألف واللام لاستغراق الجنس من المحامد، فهو سبحانه يستحق الحمد بأجمعه؛ إذ له الأسماء الحسنى والصفات العلا.

اعلم أن للعلماء كلاماً طويلاً بين الحمد والمدح والشكر وخلاصته أن المدح أعم من الحمد ذلك لأن المدح يحصل للعاقل وغير العاقل أما الحمد فلا يكون إلا للعاقل؛ فكما تمدح الرجل لشجاعته تمدح اللؤلؤ لناصع بياضه ، أما الحمد فلا يكون إلا للفاعل المختار على ما يصدر عنه من الإنعام والإحسان ، فالمدح أعم من الحمد.

أما عن الفرق بين الحمد والشكر فالحمد أعم من الشكر، لأن الحمد كما قلنا يكون على ما يصدر من المحمود من الإنعام والإحسان سواء وصل إليك أو لغيرك ، أما الشكر فهو الثناء إذا وصل الإنعام إليك.[1]

يقول الإمام الرازى: الفَرْقُ بين الحَمْدِ والمَدْحِ من وجوه :

أحدها : أن المَدْحَ قد يحصلُ لِلحَيِّ ، ولغيرِ الحَيِّ ، أَلاَ تَرَى أَنَّ من رَأَى لُؤْلُؤَةً في غايةِ الحُسْنِ ، فإنه يَمْدَحُها ؟ فثبتَ أنَّ المدحَ أَعمُّ من الحمدِ .

الثَّاني : أن المدحَ قد يكونُ قَبْلَ الإِحْسَانِ ، وقد يكونُ بعدَه ، أما الحمدُ فإنه لا يكونُ إلاَّ بعد الإحسان .

الثالث : أنَّ المدحَ قَدْ يكونُ مَنْهِياً عنه ؛ قال عليه الصلاةُ والسلامُ : " احْثُوا التُّرَابَ في وُجُوهُ المَدَّاحِينَ " [2]

---

(١)الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ١٣٣)

(٢) أخرجه ابن عدى (٨٤/٧، ترجمة ٢٠٠٨ الوليد بن عباد) ، وأبو نعيم فى الحلية (٩٩/٦) . وأخرجه أيضًا: الديلمى (١٠٦/١، رقم ٣٥٥) ، وأورده العقيلى (٤٥١/٣ ترجمة ١٥٠٣ الفضل بن صالح) وقال: حديثه غير محفوظ.

. أما الحمدُ فإنه مأمورٌ به مُطْلَقاً ؛ قال – عليه الصلاة والسلام – : " مَنْ لَمْ يَحْمَدِ النَّاسَ لَمْ يَحْمَدِ اللهَ " (١)

الرابعُ : أنَّ المدحَ عبارةٌ عنِ القولِ الدَّال على كونه مُخْتَصاً بنوع من أنواع الفَضَائل .

وأمّا الحمدُ فهو القولُ الدَّالُّ على كونه مختصًّا بِفَضيلة مُعَيَّنَةٍ ، وهي فضيلةُ الإنعامِ والإحسان ، فثبت أنَّ المدحَ أعمُّ من الحمدِ .

وأما الفرق بين الحمد وبين الشكر فهو أن الحمد يعم ما إذا وصل ذلك الإنعام إليك أو إلى غيرك، وأما الشكر فهو مختص بالإنعام الواصل إليك. (٢)

وقد ذهب بعض العلماء إلى أنهما بمعنى واحد كالطبرى، والصواب ما رجحته.

٢- رب : مشتق من التربية بمعنى القيام بأمر المربوب شيئا فشيئا حتى يصل إلى درجة الكمال (٣)

و الرب بالألف واللام اسم من أسمائه تعالى، ولا يطلق على غير الله إلا بالإضافة كما فى قوله تعالى "اذكرنى عند ربك" وحديث(أن تلد الأمة ربتها)(٤). كما أن لهذا اللفظ معانى كثيرة كالمصلح والمدبر والجابر والقائم.

قال الزمخشري رحمه الله تعالى : الرب: المالك. ومنه قول صفوان لأبى سفيان: لأن يربني رجل من قريش أحب إليّ من أن يربني رجل من هوازن. تقول: ربه يربه فهو رب، كما تقول: نمّ عليه ينمّ فهو نمّ.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٩٥/٧ رقم ٧٤٩٥) قال الأرنؤوط : إسناده صحيح .

(٢) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (١/ ١٩٠)

(٣)الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ١٣٧)

(٤) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الطهارة (٣٦/١ رقم ٨) عن عمر بن الخطاب .

ويجوز أن يكون وصفاً بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل، ولم يطلقوا الرب إلا في اللّه وحده، وهو في غيره على التقيد بالإضافة، كقولهم: رب الدار، ورب الناقة، وقوله تعالى: (ارْجِعْ إِلى رَبِّكَ) ، (إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوايَ) .[1]

وقال القرطبي: متى أدخلت الألف واللام على" رب" اختص الله تعالى به، لأنها للعهد، وإن حذفتا منه صار مشتركا بين الله وبين عباده، فيقال: الله رب العباد، وزيد رب الدار، فالله سبحانه رب الأرباب، يملك المالك والمملوك، وهو خالق ذلك ورازقه، وكل رب سواه غير خالق ولا رازق

٣- العالمين: قال القرطبي: هو مأخوذ من العلم والعلامة، لأنه يدل على موجده. كذا قال الزجاج. [2]

وهي جمع عالم يطلق على كل موجود سوى الله تعالى ، وقيل: أهل كل زمان عالم ، لقوله تعالى: {أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: ١٦٥] وقال ابن عباس: العالمون : الجن والإنس، دليله قوله تعالى: {ليكون للعالمين نذيرا} [الفرقان: ١] ولم يكن نذيرا للبهائم. وقال الفراء وأبو عبيدة: العالم عبارة عمن يعقل، وهم أربعة أمم: الإنس والجن والملائكة والشياطين. ولا يقال للبهائم: عالم، لأن هذا الجمع إنما هو جمع من يعقل خاصة.

قال لبيد [3]:

ما إن سمعت بمثلهم فى العالمينا [4]

---

(١) الكشاف (١/ ١٠)

(٢)الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ١٣٩)

(٣) لَبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري: أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية توفى سنة ٤١ هـ. (الأعلام ٥/ ٢٤٠ طبقات فحول الشعراء (٢/ ١٢٣)

(٤) معجم مقاييس اللغة (٤/١١٠)

وقال زيد بن أسلم: هم المرتزقون، ونحوه قول أبي عمرو بن العلاء: هم الروحانيون. وهو معنى قول ابن عباس أيضا: كل ذي روح دب على وجه الأرض.

قلت : والقول الأول أصح هذه الأقوال؛ لأنه شامل لكل مخلوق وموجود دليله قوله تعالى: "قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٢٤)"

٣ - قوله - عز وجل - (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) الآية

قال الراغب: الملك الذي يملك الأمر والنهي في الجمهور،

وإنما شرط الجمهور لأن كل إنسان يملك ذلك في نفسه وما يختص به، ثم يقال له: ملك، وهذا إنما قاله بالنظر العامي وأما بالنظر الخاصي، فهو في الحقيقة اسم لمن يملك السياسة من نفسه أو منها أو من غيرها، ومالك ذلك من نفسه أجل ملك وأكبر سلطان ولذلك قيل لحكيم: ما الملك الأعظم؟ فقال: أن يغلب الإنسان شهواته، قال عليه الصلاة والسلام : " رَجَعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر " [1] وحجة من قرأ ملك قوله تعالى: (لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ) وقوله: (الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) والملك: مصدر " الملك " لا " المالك " [3].

وأما " المالك ": فهو الضابط للشيء المتصرف فيه بالحكم، ومنه " ملكت العجين ".

و" الوكيل ": وإن كان ضابطاً للشيء متصرفاً فيه - فإنه لا يقال له: " مالك " لما كانت يده يد غيره.ويقال للصبي والمعتوه: " مالك " لما كان ذلك لهما حكماً وإن لم يكن لهما

---

(١)قال العراقي: رواه البيهقي في الزهد، وفيه ضعف. انظر: تخريج أحاديث الإحياء ٤/ ١٥٣٧ والزهد للبيهقي ص ١٦٥.

(٢)أخرجه البيهقى فى الزهد (١٦٥/٢، رقم ٣٧٣) ، وقال: هذا فيه ضعف. وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٥٢٣/١٣)

(٣) تفسير الراغب (٥٦/١)

فعلاً. وحجة قارئه قوله - عز وجل - (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ) ، فجعل الملك مملوكاً. وقال (وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) ، وقوله: (يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا)

فإن قيل: أيهما أبلغ؟ قيل: قال بعضهم: " مالك " أبلغ، لأنه يقال: مالك الدراهم والحيوانات والريح، ولا يقال ملكها. وقيل: " الملك " أبلغ، لأنه لا يمكن إلا مع تعظيم.

وهما مختلفان في الحقيقة. فإن الملك: هو المتصرف بالأمر والنهي في المأمورين.

والمالك: هو المتصرف في الأعيان المملوكة على أي وجه كان. فإن قيل: على أي وجه أضيف إلى اليوم؟ قيل: أما " ملك "، فعلى حد: يا سارق الليلة أهل الدار.

في أنه اتسع للظرف. فجعله مفعولاً به، وأما " مالك " فمضاف إلى المفعول به.

لأنه تعالى هو موجده وضابطه. وإذا أضيف إلى " الوقت " فيقال: فلان مالك يوم كذا.

فإنما هو على تجوز إذ كان حقيقة اليوم والوقت ليس بملك لغيره. وأما اختصاص ذلك اليوم مع كونه في الحقيقة مالكاً لجميع الأشياء، وفي جميع الأزمنة لأمرين: أحدهما: أنه قد ملك في الدنيا قوماً أشياء يبطل عنها ملكهم لها يوم القيامة، ولذلك قال: (لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ)، وقال: (نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا) ، وقال: (وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) [1]

٤-يوم الدين : أى يوم الجزاء والحساب ، قال فى اللسان : والدين الجزاء والمكافأة ويوم الدين: يوم الجزاء وقوله إنا لمدينون أى مجزيون محاسبون وحكى أهل اللغة : دِنته بفعله دَينا ودِينا: جزيته ، ومنه الديان فى صفة الرب تعالى أى المجازى وفى الحديث "الكيس من دان نفسه "[2]

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني (٥٦)

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٢٤/٤، رقم ١٧١٦٤) ، والترمذى في السنن في أبواب صفة القيامة (٦٣٨/٤، رقم ٢٤٥٩) وقال: حسن. وابن ماجه في السنن كتاب الزهد باب ذكر الموت والاستعداد (١٤٢٣/٢، رقم ٤٢٦٠) ، وأبو نعيم فى الحلية (٢٦٧/١) ، والبيهقى (٣٦٩/٣، رقم ٦٣٠٦) ، والطبرانى (٢٨١/٧، رقم ٧١٤١) ، والحاكم في المستدرك (١٢٥/١، رقم ١٩١)

أى : حاسبها

٥- إياك نعبد: العبادة التذلل والخضوع ، وطريق معبد : مذلل للسالكين. وقوله: {إياك نعبد وإياك نستعين} (الفاتحة: ٥) أي نطيع الطاعة التي يخضع معها، قال ابن الأثير ومعنى العبادة في اللغة: الطاعة مع الخضوع. [١]

٦- وإياك نستعين : أى نطلب العون والتأييد والتوفيق.

قال الفراء [٢]: أعنته إعانة واستعنته واستعنت به، وفى الدعاء: رب أعنى ولا تعن على، ورجل معوان: كثير الإعانة للناس، وفى الحديث " وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله" [٣]والمعنى: إياك ربنا نستعين على طاعتك وعبادتك فى أمورنا كلها ؛ فلا يملك القدرة على عوننا أحد سواك، وإذا كان من يكفر بك يستعين بأحد سواك فنحن نسألك ألا نستعين بأحد سواك.

قوله تعالى: إياك نعبد : ؛ أي نطيع الطاعة التي يخضع معها، وقيل: إياك نوحد، قال: ومعنى العبادة في اللغة الطاعة مع الخضوع، ومنه طريق معبد إذا كان مذللا بكثرة الوطء. وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة: وعبد الطاغوت، قال الفراء: ولا أعلم له وجها إلا أن يكون عبد بمنزلة حذر وعجل. وقال نصر الرازي: عبد وهم من قرأه ولسنا نعرف ذلك في العربية [٤].

٧- اهدنا : فعل دعاء بمعنى دلنا، والهداية فى اللغة بمعنى الدلالة،كقوله تعالى " فأما ثمود فهديناهم "وتأتى بمعنى الإرشاد وتمكين الإيمان فى القلب قال تعالى " إنك لا تهدى من

وقال: صحيح على شرط البخارى.

(١) تاج العروس (٨/١٣٣)

(٢) لسان العرب (١٣/ ٢٩٨)

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٤/٤١٠رقم ٢٦٦٩) والطبراني في الكبير (١٢/٢٣٨ رقم ١٢٩٨٨) و البيهقى فى شعب الإيمان (١/٢١٦، رقم ١٩٥) .وإسناده صحيح .

(٤) لسان العرب لابن منظور(٣/ ٢٧٣)

أحببت ولكن الله يهدى من يشاء" والفعل هدى يتعدى بحرف الجر إلى " فاهدوهم إلى صراط الجحيم" وباللام " وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا " وبنفسه " اهدنا الصراط المستقيم

٨- الصراط فى اللغة الطريق، قال عامر بن الطفيل:

شحنا أرضهم بالخيل حتى ... تركناهم أذل من الصراط

والسراط (بالسين) من الاستراط بمعنى الابتلاع، كأن الطريق يسترط من يسلكه. وقرئ بين الزاي والصاد. وقرئ بزاى خالصة والسين الأصل. وحكى سلمة عن الفراء قال: الزراط بإخلاص الزاي لغة لعذره وكلب وبني القين، قال: وهؤلاء يقولون [في أصدق]: أزدق. وقد قالوا: الأزد فى الأسد.والعرب تستعير الصراط لقول أو عمل وصف باستقامة أو اعوجاج، والمراد به هنا طريق الحق أى الإسلام

قال المرتضى الزبيدي : الصراط، بالكسر: الطريق، قال الله تعالى: اهدنا الصراط المستقيم وبه قرأ ابن عامر وابن كثيرٍ ونافع وأبو عمرو وعاصم والكسائي. وقال القعقاع ابن عطية الباهلي:

(أكر على الحروريين مهري ... لأحملهم على وضح الصراط) [١]

وأما صراط الآخرة فهو عند أهل السنة: جسر ممدود على متن جهنم منعوت في الحديث الصحيح، وهو أحَدُّ من السيف، وأدَقّ من الشعر، يمر عليه الخلائق فيجوزه أهل الجنة بأعمالهم، يمر بعضهم كالبرق الخاطف، وبعضهم كالريح المرسلة، وبعضهم كجياد الخيل، وبعضهم يشتد، وبعضهم يمشي، وبعضهم يزحف.... الخ ــ [٢]

---

(١) تاج العروس ٤٣٧/١٩

(٢) تاج العروس (١٩/ ٤٣٧)

٩- المغضوب: قال ابن فارس : غَضَبَ: الْغَيْنُ وَالضَّادُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى شِدَّةٍ وَقُوَّةٍ. يُقَالُ: إِنَّ الْغَضْبَةَ: الصَّخْرَةُ الصُّلْبَةُ. قَالُوا: وَمِنْهُ اشْتُقَّ الْغَضَبُ، لِأَنَّهُ اشْتِدَادُ السُّخْطِ. يُقَالُ: غَضِبَ يَغْضَبُ غَضَبًا، وَهُوَ غَضْبَانُ وَغَضُوبٌ. وَيُقَالُ: غَضِبْتُ لِفُلَانٍ، إِذَا كَانَ حَيًّا ؛ وَغَضِبْتُ بِهِ، إِذَا كَانَ مَيِّتًا. قَالَ دُرَيْدٌ:

أَنَا غِضَابٌ بِمَعْبَدٍ وَيُقَالُ: إِنَّ الْغَضُوبَ: الْحَيَّةُ الْعَظِيمَةُ. (١)

ومعنى الغضب في صفة الله تعالى إرادة الانتقام أو تعنى العقوبة والمغضوب عليهم هم اليهود.

١٠- " وَلَا الضَّالِّينَ" قال ابن فارس : الضَّادُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ، وَهُوَ ضَيَاعُ الشَّيْءِ وَذَهَابُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ. يُقَالُ: ضَلَّ يَضِلُّ وَيَضَلُّ، لُغَتَانِ. وَكُلُّ جَائِرٍ عَنِ الْقَصْدِ ضَالٌّ. وَالضَّلَالُ وَالضَّلَالَةُ بِمَعْنًى. وَرَجُلٌ ضِلِّيلٌ وَمُضَلَّلٌ، إِذَا كَانَ صَاحِبَ ضَلَالٍ وَبَاطِلٍ. وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَصْلَ الضَّلَالِ مَا ذَكَرْنَاهُ قَوْلُهُمْ أُضِلَّ الْمَيِّتُ، إِذَا دُفِنَ. وَذَاكَ كَأَنَّهُ شَيْءٌ قَدْ ضَاعَ. وَيَقُولُونَ: ضَلَّ اللَّبَنُ فِي الْمَاءِ، ثُمَّ يَقُولُونَ اسْتُهْلِكَ. وَقَالَ فِي أُضِلَّ الْمَيِّتُ: وَآبَ مُضِلُّوهُ بِعَيْنٍ جَلِيَّةٍ ... وَغُودِرَ بِالْجَوْلَانِ حَزْمٌ وَنَائِلُ (٢)

والضلال في كلام العرب هو: الذهاب عن سنن القصد وطريق الحق، ومنه: ضل اللبن في الماء أي غاب. والمقصود كل صائر عن صراط الإسلام، والضالون هم النصارى كما جاء فى الحديث.(٣)

شرح آيات السورة الكريمة

قوله " بسم الله الرحمن الرحيم "

المعنى : "بسم الله الرحمن الرحيم" أى أقرأ مستعيناً باسم الله إذا كان المقام مقام قراءة ، أو أكتب مستعيناً باسم الله الرحمن الرحيم ، وهكذا فى جميع الأمور ، وما أجمل مشهداً يشتمل

---

(١)مقاييس اللغة (٤/ ٤٢٨)

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٣٥٦)

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/١٥٠)

على عبد تقى صالح ، نقى القلب ، صافى السريرة ، خالي البال ، ذى همة إيمانية عالية ، وروح شفافة راقية، أقبل على كتاب ربه ، قارئاً متيقناً أنه لا قدرة لديه على تحريك شفتيه بذاته إلا أن يعينه ربه الذى يراه فى حاله هذا وهو يشعر بذلك تمام الشعور ، ويثق بذلك تمام الثقة، فـــأقبل على قراءة كتاب رب يرى ويسمع"قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى" فانتشت روحه وسعدت نفسه، واطمأن قلبه وعلا وجهه ماعلا من ألوان السكينة والراحة والبشر معلناً أنه طالب لعون الله وتوفيقه؛ فهو الله القدير وهو الرحمن الرحيم الذى يحقق برحمانيته لعبده ما أحب من تحريك اللسان بحروف وكلمات القرآن مع حركة القلب بالمعانى فما كان من ربه إلا أن أمده بمعونته وتوفيقه .

وقد جمع فى التسمية بين أسماء ثلاثة له سبحانه " الله – الرحمن- الرحيم" كما قال الشيخ الطاهر بن عاشور :

ومناسبة الجمع بين علم الجلالة وبين صفتى الرحمن الرحيم .

قال البيضاوى: إن المسمى إذا قصد الاستعانة بالمعبود الحق الموصوف بأنه مولى النعم كلها جليلها ودقيقها يذكر علم الذات إشارة إلى استحقاقه أن يستعان به بالذات، ثم يذكر وصف الرحمن إشارة إلى أن الاستعانة على الأعمال الصالحة وهي نعم، وذكر الرحيم.[1]

قال الأستاذ الإمام محمد عبده: إن النصارى كانوا يبتدئون أدعيتهم ونحوها باسم الأب والابن والروح القدس إشارة إلى الأقانيم الثلاثة عندهم، فجاءت فاتحة كتاب الإسلام بالرد عليهم موقظة لهم بأن الإله الواحد وإن تعددت أسماؤه فإنما هو تعدد الأوصاف دون تعدد المسميات، يعني فهو رد عليهم بتغليط وتبليد.

قال الشيخ الطاهر معقباً على ما سبق : وعندي أن البسملة كان ما يرادفها قد جرى على ألسنة الأنبياء من عهد إبراهيم عليه السلام فهي من كلام الحنيفية، فقد حكى الله عن إبراهيم أنه قال لأبيه {يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ} [مريم: ٤٥]،

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ١٥١)

وقال {سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً} [مريم: ٤٧] ومعنى الحفي قريب من معنى الرحيم. وحكى عنه قوله {وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [البقرة: ١٢٨]. وورد ذكر مرادفها في كتاب سليمان إلى ملكة سبأ {إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ} [النمل: ٣١]

قال الشيخ الطاهر: والمظنون أن سليمان اقتدى في افتتاح كتابه بالبسملة بسنة موروثة من عهد إبراهيم كلمة باقية في وارثي نبوته، وأن الله أحيا هذه السنة في الإسلام في جملة ما أحيا له من الحنيفية كما قال تعالى {مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ} [الحج: ٧٨] ([1])

وعقب البدء بالتسمية يجئ الحمد والثناء على الله رب العالمين والحمد كما يقول الأستاذ سيد قطب[٢] – رحمه الله –والحمد لله هو الشعور الذي يفيض به قلب المؤمن بمجرد ذكره لله.. فإن وجوده ابتداء ليس إلا فيضاً من فيوضات النعمة الإلهية التي تستجيش الحمد والثناء. وفي كل لمحة وفي كل لحظة وفي كل خطوة تتوالى آلاء الله وتتواكب وتتجمع، وتغمر خلائقه كلها وبخاصة هذا الإنسان.. ومن ثم كان الحمد لله ابتداء، وكان الحمد لله ختاماً قاعدة من قواعد التصور الإسلامي المباشر: «وَهُوَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولى وَالْآخِرَةِ ... » .

ومع هذا يبلغ من فضل الله– سبحانه– وفيضه على عبده المؤمن، أنه إذا قال: الحمد لله. كتبها له حسنة ترجح كل الموازين.. في سنن ابن ماجه عن ابن عمر– رضي الله عنهما– أن رسول الله– صلى الله عليه وسلم– حدثهم أن عبداً من عباد الله قال: «يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك فعضلت الملكين فلم يدريا كيف يكتبانها. فصعدا إلى الله فقالا: يا ربنا، إن عبداً قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها. قال الله– وهو أعلم بما قال عبده–: «وما الذي قال عبدي؟» قالا: يا رب، أنه قال: لك الحمد يا رب كما ينبغي

---

[1] التحرير والتنوير للعلامة الطاهر بن عاشور ١/١٥١،١٥٢.ط دار سحنون

(٢) فى ظلال القرآن ١/٢٢

لجلال وجهك وعظيم سلطانك. فقال الله لهما: «اكتباها كما قال عبدي حتى يلقاني فأجزيه بها»[1]

قلت : هذا وقد ورد فى فضل الحمد أحاديث كثيرة منها إضافة لما سبق .

عن أبى هريرة –رضى الله عنه – ، عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لاَ يُبْدأُ فِيهِ بِالْحَمْدُ للهِ فَهُوَ أَقْطَعُ». [2]

وعن أَبي هريرة – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمانِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العظيمِ». متفقٌ عَلَيْهِ.[3]

وعنه – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم: «لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ؛ وَالحَمْدُ للهِ؛ وَلاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ». [4]
وقال: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ». متفقٌ عَلَيْهِ. [5]

---

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن في أبواب الأدب باب فضل الحامدين (٧١٢/٤ رقم ٣٨٠١) قال شعيب الأرنؤط : إسناده ضعيف، صدقة بن بشير لا يؤثر توثيقه عن أحد، وقال الحافظ في "التقريب": مقبول؛ أي: عند المتابعة وإلا فهو لين، وهو في هذا الحديث لم يتابعه أحد .

(٢)أخرجه ابن حبان في مقدمة صحيحه (١٧٣/١، رقم ١) بهذا اللفظ . وأخرجه أيضًا بنحوه : ابن ماجه في السنن كتاب النكاح باب إعلان النكاح (٩٠/٣، رقم ١٨٩٥) ، والبيهقى في السنن الكبرى (٢٠٨/٣، رقم ٥٥٥٩) وقد حسنه ابن الصلاح والنووي والعراقي، والحافظ ابن حجر، كما في " نفتوحات الربانية على الأذكار النووية " لابن علان ٣ / ٢٨٨ و ٦ / ٦٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأيمان والنذور باب إذا قال: والله لا أتكلم اليوم، فصلى، أو قرأ، أو سبح، أو كبر، أو حمد، أو هلل، فهو على نيته (١٣٩/٨ رقم ٦٦٨٢) ومسلم في صحيحه كتاب العلم باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٢٠٧٢/٤ رقم ٢٦٩٤).

(٤)أخرجه مسلم في صحيحه كتاب العلم باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٢٠٧٢/٤ رقم ٢٦٩٥).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الدعوات باب فضل التسبيح (٨٦/٨ رقم ٦٤٠٥) عن أبي

وعن أَبي ذَرٍّ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم: «ألاَ أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الكَلاَمِ إِلَى اللهِ؟ إِنَّ أَحَبَّ الكَلاَمِ إِلَى اللهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ». (١)

وعن أَبي مالك الأشعري – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمانِ، وَالحَمْدُ للهِ تَمْلأُ المِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ تَمْلآنِ – أَوْ تَمْلأُ – مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ». (٢)

وعن أم المؤمنين جُوَيْرِيَةَ بنت الحارث رَضِيَ اللهُ عنها: أَنَّ النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم – خرجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِيْنَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ فِي مَسْجِدِها، ثُمَّ رَجَعَ بَعدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ، فقالَ: «مَا زِلْتِ عَلَى الحالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟» قالت: نَعَمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ اليَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ». (٣)

ثم يجئ بعد الحمد والثناء عليه سبحانه ذكر موجب من موجبات استحقاقه الحمد ألا وهو وصفه سبحانه برب العالمين وهذا الوصف كما يقول الأستاذ/سيد قطب رحمه الله

أما شطر الآية الأخير: «رَبِّ الْعالَمِينَ» فهو يمثل قاعدة التصور الإسلامي، فالربوبية المطلقة الشاملة هي إحدى كليات العقيدة الإسلامية.. والرب هو المالك المتصرف، ويطلق في اللغة على السيد وعلى المتصرف للإصلاح والتربية..والتصرف للإصلاح والتربية يشمل العالمين–

هريرة .

و أخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء(٤/ ٢٠٧١ رقم ٢٦٩١، ٢٦٩٢)

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء – باب فضل سبحان الله وبحمده (٤/٢٠٩٣ رقم ٢٧٣١)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الطهارة باب فضل الوضوء (١/٢٠٣رقم ٢٢٣)

وأحمد في مسنده (٣٧/٥٤٢ رقم ٢٢٩٠٧)

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء باب التسبيح أول النهار (٤/٢٠٩٠ رقم ٢٧٢٦)

وابن خزيمة في صحيحه كتاب الصلاة المختصر باب

أي جميع الخلائق- والله- سبحانه- لم يخلق الكون ثم يتركه هملاً. إنما هو يتصرف فيه بالإصلاح ويرعاه ويربيه. وكل العوالم والخلائق تحفظ وتُتعهد برعاية الله رب العالمين.[1]

قلت : وكيف لكائن أياما كان أن يحيا جزءا من لحظة بعيدا عن عناية سيده ومولاه وهو الذى لو غفل عنه - وحاشاه — لما نبض قلب ، وما خفق ، ما دخل نفس ، وما خرج ، فالحقيقة أن الكل يحيا بعناية الله الرحمن الرحيم قال تعالى (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) الرعد آية٣٣ وقال تعالى (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...) البقرة آية ٢٥٥ فاعتراف العبد بربوبيته سبحانه للكل فى وسط بيئة يدين أبناؤها بربوبية حجر لا يسمع ولا يبصر ...الخ وبربوبية شمس وقمر وبقر وغير ذلك أقول : اعتراف العبد بذلك وإعلانه له على هذا النحو يدل على اكتمال التصور الحق لهذا الدين العظيم

يقول الأستاذ سيد قطب أيضا (فإطلاق الربوبية في هذه السورة، وشمول هذه الربوبية للعالمين جميعاً، هي مفرق الطريق بين النظام والفوضى في العقيدة. لتتجه العوالم كلها إلى رب واحد، تقر له بالسيادة المطلقة، وتنفض عن كاهلها زحمة الأرباب المتفرقة، وعنت الحيرة كذلك بين شتى الأرباب.. ثم ليطمئن ضمير هذه العوالم إلى رعاية الله الدائمة وربوبيته القائمة. وإلى أن هذه الرعاية لا تنقطع أبداً ولا تفتر ولا تغيب[2]

قوله: "الرحمن الرحيم":

وصف الله نفسه هنا بأنه الرحمن الرحيم عقب قوله "رب العالمين" ؛ ذلك لأن كلمة "رب" توحى بالرهبة؛ إذ إن (الرب) تعنى المتصرف فى أمور عباده كيف يشاء، فقد يسبق إلى الفهم أن هذا الرب قهار جبار فيؤدى ذلك إلى حصول اليأس والقنوط فى قلوب الخلق، فناسب أن يأتى بعد هذا الوصف بقوله "الرحمن الرحيم" ليبين لعباده أن قدرته سبحانه قدرة رحمة وعفو لمن آمن واتقى ، لا بطش وتنكيل وجبروت فيلقى ذلك فى قلوب عباده جواً من

---

(١) فى ظلال القرآن ٢٢/١

(٢) فى ظلال القرآن ٢٢/١

الرغبة والطمع فى رحمته سبحانه.

قال العلامة القرطبى :

قوله "الرحمن الرحيم" وصف نفسه تعالى بعد رب العالمين بأنه الرحمن الرحيم لأنه لما كان اتصافه برب العالمين ترهيباً قرنه بالرحمن الرحيم لما تضمن من الترغيب ليجمع فى صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه فيكون أعون على طاعته وأمتع كما قال تعالى:"نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الأليم" وقال:" غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول" وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله وسلم قال : "لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد" [1]

وقد جمع الله بين (الرحمن) و(الرحيم) كما قال ابن القيم:"وأما الجمع بين الرحمن والرحيم ففيه معنى بديع وهو أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم ، وكأن الأول الوصف والثانى الفعل ، فالأول دال على أن الرحمة صفته، أى صفة ذات له سبحانه ، والثانى دال على أنه يرحم خلقه ، أى صفة فعل له سبحانه، فإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله تعالى :" وكان بالمؤمنين رحيما" " انه بهم رءوف رحيم" و لم يجئ لفظ رحمن بهم فعلمت أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة ورحيم هو الراحم برحمته" وقد سبق الكلام على هذين الوصفين بما أغنى عن إعادته هنا والله أعلم.[2]

قوله " مالك يوم الدين " أى أن الله سبحانه هو المتصرف فى يوم الدين تصرف المالك فى ملكه ، والدين فى اللغة : الجزاء. قال صاحب لسان العرب: الدين الجزاء والمكافأة، ويوم

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه(٤/ ٢١٠٩ رقم ٢٧٥٥) وابن حبان في صحيحه كتاب الرقائق باب الخوف والتقوى(٤٣٢/٢ رقم ٦٥٦)

(٢) الجامع لأحكام القرآن للعلامة القرطبي (١/ ١٣٩) ط دار الكتب المصرية – القاهرة

الدين : يوم الجزاء، وقوله تعالى:" إنا لمدينون " أى مجزيون محاسبون([1])

وقراءة الجمهور "مالك يوم الدين" على وزن فاعل، وقرأ ابن كثير وغيره "مَلِك يوم الدين" بفتح الميم وكسر اللام.

وقد اختلف أى القراءتين أبلغ ، وقد حكى الخلاف العلامة القرطبى فقال:

فقيل:" ملك" أعم وأبلغ من" مالِكٍ" إذ كل ملك مالك، وليس كل مالك ملكا، ولأن أمر الملك نافذ على المالك في ملكه، حتى لا يتصرف إلا عن تدبير الملك، قاله أبو عبيدة والمبرد..... وقال أبو حاتم: إن مالكا أبلغ في مدح الخالق من" ملك"، و" ملك" أبلغ في مدح المخلوقين من مالك، والفرق بينهما أن المالك من المخلوقين قد يكون غير ملك وإذا كان الله تعالى مالكا كان ملكا، واختار هذا القول القاضي أبو بكر بن العربي وذكر ثلاثة أوجه :

الأول: أنك تضيفه إلى الخاص والعام فتقول مالك الملوك

الثاني: أنه يطلق على مالك القليل والكثير، وإذا تأملت هذين القولين وجدتهما واحدا، والثالث: أنك تقول: مالك الملك، ولا تقول: ملك الملك. قال ابن الحصار: إنما كان ذلك لان المراد من" مالِكٍ" الدلالة على الملك بكسر الميم وهو لا يتضمن" الملك" بضم الميم و" ملك" يتضمن الأمرين جميعا فهو أولى بالمبالغة. ويتضمن أيضا الكمال،ولذلك استحق الملك على من دونه.

قال الإمام القرطبى: وقد احتج بعضهم على أن مالكا أبلغ لان فيه زيادة حرف، فلقارئه عشر حسنات زيادة عمن قرأ ملك. قلت: هذا نظر إلى الصيغة لا إلى المعنى،وقد ثبتت القراءة بملك، وفيه من المعنى ما ليس في مالك، على ما بينا والله أعلم.([2])

١-لسان العرب لابن منظور مادة دين.

[1]- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨٧/١،١٨٨

قلت: القراءتان متواترتان، ومعناهما صحيح ؛ فالله هو المالك وهو الملك والترجيح بينهما فيه ما فيه من الصعوبة التى لاتخفى والأمر كما قال الألوسى: ولا فرق بين المالك والملك صفتين لله تعالى كما قاله السمين ولا التفات إلى من قال: إنهما كحاذر وحذر ومتى أردت ترجيح أحد الوصفين تعارضت لديّ الأدلة وسدت على الباب الآثار وانقلب إليّ بصر البصيرة خاسئاً وهو حسير إلا أني أقرأ كالكسائى: (مالك) لأحظى بزيادة عشر حسنات ولأن فيه إشارة واضحة إلى الفضل الكبير والرحمة الواسعة والطمع بالمالك من حيث إنه مالك فوق الطمع بالملك من حيث إنه ملك فأقصى ما يرجى من الملك أن ينجو الإنسان منه رأساً برأس ومن المالك يرجى ما هو فوق ذلك فالقراءة به أرفق بالمذنبين مثلي وأنسب بما قبله وإضافته إلى يوم الدين بهذا المعنى ليكسر حرارته فإن سماع { يَوْمِ الدين } يقلقل أفئدة السامعين ويشبه ذلك من وجه قوله تعالى : { عَفَا الله عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ } [التوبة :٣ ٤] والمدار على الرحمة لا سيما والأمر جدير والترغيب فيه أرغب على أنه لا يخلو الحال عن ترهيب([1])

وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه ؛ لأنه قد تقدم الإخبار بأنه رب العالمين وذلك عام فى الدنيا والآخرة ، وإنما أضيف إلى يوم الدين لأنه لا يدعى أحد هناك شيئاً، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه كما قال تعالى "يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً"

قال العلامة القرطبى: لم خصص يوم الدين وهو مالك يوم الدين وغيره؟ قيل له: لأن في الدنيا كانوا منازعين في الملك، مثل فرعون ونمرود وغيرهما، وفي ذلك اليوم لا ينازعه أحد في ملكه، وكلهم خضعوا له، كما قال تعالى:" لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ" «١» فأجاب جميع الخلق:" لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ" فلذلك قال: مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، أي في ذلك اليوم لا يكون مالك ولا قاض ولا مجاز غيره، سبحانه لا إله إلا هو([2]).

قلت : والحقيقة أنه لا ملك فى الدنيا والآخرة إلا لله ، وما وصف هؤلاء لأنفسهم بالملوك

---

[1] - روح المعانى ١/١٤٠،١٣٩

[2] -تفسير القرطبى ١/١٩٠.

فعلى سبيل المجاز والادعاء؛ لأن ملكهم للأشياء إنما هو متوقف على مشيئة الله عز وجل "قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"[1] "وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا" أما ملكية الله عز وجل فبذاته وإرادته وقدرته، ملكية الله للأشياء ملكية تصرف مطلق، أما ملكية هؤلاء للأشياء فملكية انتفاع، وملكيته سبحانه للأشياء لا حد لها أما ملكيتهم للأشياء فمحدودة بزمان ومكان ، فالله هو الملك وهو المالك عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض...)[2].

قلت : ومما لا شك فيه أن الإنسان إذا تحرك قلبه بمعانى هذه الآية الكريمة "مالك يوم الدين" كما تحرك لسانه بها فإنه يتأتى فى قلبه من الإيمان بيوم الدين واليقين به ما لا يتأتى من مشهد آخر، وما أجمل أن يكون هذا الإحساس من قارئ للقرآن فى خلوة مع ربه أو فى صلواته! فذلك يجعل من هذا العبد عبداً مستقيماً على الصراط لا يرى منه إلا الخير ، ويسلم الناس من لسانه ويده، والحق أن الله ما أنزل كتابه إلا للتأمل والتدبر، فإذا أدرك العبد هذه الحكمة أدرك حقيقة الإيمان وسهل عليه بالتالى الانقياد لأوامر رب العالمين وصارت الطاعة أحب الأشياء إليه وصارت المعصية أبغض الأشياء إليه كذلك.

قوله " إياك نعبد وإياك نستعين"

علاقة هذه الآية بما قبلها أنه بعد أن بين الله سبحانه فى الآيات السابقة حقيقة الربوبية وعظمها وعموم سلطانها وسعة رحمته فى الدنيا والآخرة، شرع فى بيان أن الإله الذى هذا شأنه هو ذاك الإله الذى ينبغى أن نعبده ونستعين به.

---

[1] آل عمران الآية ٢٦

[2] – أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقائق – باب يقبض الله الأرض يوم القيامة رقم(٦٠٣٨) وأخرجه أحمد في مسنده (١٤/ ٤٥١) برقم ٨٨٦٣

ومعنى الآية الكريمة : لك يا رب نذل لا لغيرك ، ولا نطلب العون والتوفيق إلا منك يا ربنا . وقدم المفعول به "إياك" على الفعل "نعبد" وكرره للاهتمام والحصر أى : لا نعبد إلا إياك ولا نتوكل إلا عليك .

قال ابن كثير: والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين، هذا كما قال بعض السلف: الفاتحة سر القرآن وسرها هذه الكلمة " إياك نعبد وإياك نستعين" فالأول تبرؤ من الشرك، والثاني تبرؤ من الحول والقوة، والتفويض إلى الله عز وجل ([1])

وقدم المفعول به أيضاً حتى لا يتقدم ذكر العبد والعبادة على المعبود، فلا يليق أن يقال نعبدك ونستعينك .

قال صاحب البحر: : « ونظير هذا أن تذكر شخصاً متصفاً بأوصاف جليلة ، مخبراً عنه إخبار الغائب ، ويكون ذلك الشخص حاضراً معك ، فتقول له : إيّاك أقصد ، فيكون في هذا الخطاب من التلطف على بلوغ المقصود ، ما لا يكون في لفظ (إيّاه) ([2])

"وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قرآن وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيه وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِين" ، "وهو معكم أينما كنتم"

"وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيد"

بقى أن يقال : لم قال نعبد بنون الجمع و لم يقل أعبد ؟ يجيب على هذا صاحب التفسير الوسيط: ليدل على أن العبادة أحسن ما تكون فى جماعة المؤمنين ، وللإشعار بأن المؤمنين المخلصين يكونون فى اتحادهم وإخائهم بحيث يقوم كل واحد منهم فى الحديث عن شئونهم الظاهرة وغير الظاهرة مقام جميعهم ، فهم كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : " المؤمنون

---

[1] تفسير ابن كثير ١/٤١.

(٢) البحر المحيط في التفسير (١/ ٤٣)

تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم " .

وقدم العبادة على الاستعانة ، لكون الأولى وسيلة إلى الثانية . وتقديم الوسائل سبب فى تحصيل المطالب ، وليدل على أنهم لا يستقلون بإقامة العبادات ، بل إن عون الله هو الذى ييسر لهم أداءها .و لم يذكر المستعان عليه من الأعمال ، ليشمل الطلب كل ما تتجه إليه نفس الإنسان من الأعمال الصالحة .[1]

قوله تعالى "اهدنا الصراط المستقيم "

هذه الآية بيان لأفضل ما يطلبه العبد من ربه عز وجل ألا وهو الهداية إلى الطريق المستقيم الموصل لسعادة الدارين.

والهداية هى الإرشاد و الدلالة بلطف على ما يوصل إلى البغية ، وتسند الدلالة إلى :

١- إلى الله :كما فى قوله : "وأما ثمود فهديناهم "

٢- وإلى الرسول "وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم"

٣- وإلى القرآن " هدى للمتقين"

٤- وإلى الخلق "فاهدوهم إلى صراط الجحيم"

وقد تأتى الهداية بمعنى :

١- البيان "وأما ثمود فهديناهم " "وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم" فهو يبين لكنه لا يضع الإيمان فى قلب العبد "إنك لا تهدى من أحببت" .

٢- بمعنى الإلهام نحو قوله تعالى "قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى " أى ألهم الحيوانات كلها إلى منافعها ، وكما فى قوله تعالى "والذى قدر فهدى"

٣- بمعنى الدعاء كما فى قوله تعالى " ولكل قوم هاد" أى داع.

بمعنى الميل كما فى قوله تعالى "إنا هدنا إليك" وفى الحديث بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ سَبِطُ الشَّعْرِ يَنْطِفُ أَوْ يُهَرَاقُ رَأْسُهُ مَاءً، يَتَهَادَى (أي يتمايل) بَيْنَ رَجُلَيْنِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، فَرَأَيْتُهُ، فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسِيمٌ جَعْدُ

---

(١) التفسير الوسيط للدكتور سيد طنطاوي (١/ ٢٢)

الشَّعْرِ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: هَذَا الدَّجَّالُ فَأَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا ابْنُ قَطَنٍ " رَجُلٌ مِنْ خُزَاعَةَ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ هَلَكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ .[1]

والأصل فى هذا الفعل (هدى) أن يصل إلى معموله بنفسه كما فى الآية التى معنا "اهدنا الصراط المستقيم " أو بإلى " وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم" أو باللام " وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا..."

والصراط من الاسترواط وهو الابتلاع من سرط الشيء إذا ابتلعه، وسمى الطريق بذلك لأنه يبتلع المار فيه وتبدل سينه صاداً على لغة قريش.

قال القرطبى: أصل الصراط في كلام العرب الطريق، قال عامر بن الطفيل:

شحنا أرضهم بالخيل حتى ... تركناهم أذل من الصراط [1]

وقال جرير:

أمير المؤمنين على صراط ... إذا اعوج الموارد مستقيم [2]

وقال آخر:

فصد عن نهج الصراط الواضح .[3]

وجعل هذا الدعاء الذي في هذه السورة أفضل من الذي يدعو به الداعي لأن هذا الكلام قد تكلم به رب العالمين، فأنت تدعو بدعاء هو كلامه الذي تكلم به، وفي الحديث: (ليس شيء أكرم على الله من الدعاء).[4]

قال العلامة ابن كثير: لما تقدم الثناء على المسئول، تبارك وتعالى، ناسب أن يعقب

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) البيت لجرير بن عَطِيَّة بن الخطفي ينظر: ديوان الحماسة البصرية (١/ ١٤٨) ، الكامل في اللغة والأدب (٢/ ١٠٤) .

(٣) لم أقف على قائله .

(٤)الترمذى في السنن كتاب الدعوات بَاب مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الدُّعَاءِ (٥/٤٥٥، رقم ٣٣٧٠) ، وقال: حسن غريب وأخرجه أحمد (٢/٣٦٢، رقم ٨٧٣٣) ، والبخارى فى الأدب المفرد (١/٢٤٩، رقم ٧١٢) ، الترمذى في السنن كتاب الدعوات بَاب مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الدُّعَاءِ (٥/٤٥٥، رقم ٣٣٧٠) ، وقال: حسن غريب ، قال شعيب الأرنؤوط : إسناده قابل للتحسين من أجل عمران -وهو ابن داور القطان-، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح.

بالسؤال؛ كما قال:أمية بن أبي الصلت .

إذا أثنى عليك المرء يوما ... كفاه من تعرضه الثناء [1]

وقد يقال: كيف يسأل المؤمن الهداية فى كل وقت من الصلاة وغيرها وهو متصف بذلك؟

وأجيب أنه لولا احتياج العبد فى كل وقت وحين إلى سؤال الهداية لما أرشده الله تعالى إلى ذلك، لا سيما مع ما يحيط بالإنسان من مغريات ومفاتن هنا وهناك ومن شواغل للنفس الإنسانية لمتطلبات الحياة وما يواكب ذلك من ملهيات عن ذكره سبحانه فما لم يوفق الله عبده للهداية ضل.

إذا لم يكن عون من الله للفتى ... فأول ما يجنى عليه اجتهاده [2]

فالعبد أحوج ما يكون إلى أن يسأل ربه على سبيل التضرع والتذلل أن يهديه إلى الصراط المستقيم وأن يثبته على ذلك وأن يرزقه الاستمرار على ذلك، فالعبد الذى يعرف ربه حقاً، ويعرف أن له نفساً ربما تميل عن الجادة ولا يأمن من تقلب القلب لا شك أنه يهرع إلى الله فى كل وقت خوفاً من تبدل الحال ورجاءً فى عطاء الله وفيضه وإحسانه ، فيسأل ربه على هذا النحو مظهراً لربه غاية الفقر إلى توفيقه ومعونته مع انخلاع العبد من حوله وقوته أمام عزة ربه ، فيسأله بهذا الحال والله خير مسئول وأعظم مأمول.

قال العلامة ابن كثير بعد أن طرح السؤال السابق: لولا احتياجه ليلا ونهارًا إلى سؤال الهداية لما أرشده الله إلى ذلك؛ فإن العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى الله تعالى في تثبيته على الهداية، ورسوخه فيها، وتبصره، وازدياده منها، واستمراره عليها، فإن العبد لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله، فأرشده تعالى إلى أن يسأله في كل وقت أن يمده بالمعونة والثبات والتوفيق، فالسعيد من وفقه الله تعالى لسؤاله؛ فإنه تعالى قد تكفل بإجابة الداعي إذا دعاه، ولاسيما المضطر المحتاج المفتقر إليه آناء الليل وأطراف النهار، وقد قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نزلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزلَ مِنْ

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة (٣/ ١٦٨)

(٢) البيت منسوب للإمام علي بن أبي طالب كما في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهانى (١/ ٥٣٢)

قَبْلُ) الآية النساء: ١٣٦، فقد أمر الذين آمنوا بالإيمان، وليس في ذلك تحصيل الحاصل؛ لأن المراد الثبات والاستمرار والمداومة على الأعمال المعينة على ذلك، والله أعلم.[1]

فائدة:

قال الفخر الرازي : لقائل أن يقول: لم قال اهدنا و لم يقل اهدني؟ والجواب من وجهين: الأول: أن الدعاء كلما كان أعم كان إلى الإجابة أقرب. كان بعض العلماء يقول لتلامذته: إذ قرأتم في خطبة السابق «ورضي الله عنك وعن جماعة المسلمين» إن نويتني في قولك «رضي الله عنك» فحسن، وإلا فلا حرج، ولكن إياك وأن تنساني في قولك «وعن جماعة المسلمين» لأن قوله رضي الله عنك تخصيص بالدعاء فيجوز أن لا يقبل، وأما قوله وعن جماعة المسلمين فلا بد وأن يكون في المسلمين من يستحق الإجابة، وإذا أجاب الله الدعاء في البعض فهو أكرم من أن يرده في الباقي، ولهذا السبب فإن السنة إذا أراد الإنسان أن يدعو ربه أن يصلي أولا على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو ثم يختم الكلام بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثانيا، لأن الله تعالى يجيب الداعي في صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم إذا أجيب في طرفي دعائه امتنع أن يرد في وسطه. [1]

وقد وصف الصراط بالمستقيم ليبين أن صراط هؤلاء الذين أنعم الله عليهم هو الصراط المستقيم

وقال " صراط الذين أنعمت عليهم " و لم يقل صراط النبيين والصديقين ليبين أن الدين فى حد ذاته نعمة عظيمة ويكفى للدلالة على عظمته إسنادها إليه تعالى فى قوله " أنعمت عليهم" لأن المراد بالإنعام هنا على الراجح الإنعام الدينى فالمنعم عليهم هم الذين عرفوا الحق فتمسكوا به وعرفوا الخير فعملوا به

قال فضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى نقلاً عن الأستاذ الشيخ حامد محيسن

" وإنما اختار فى البيان أن يضيف الصراط إلى المنعم عليهم لمعنيين:

أولهما : هو إبراز نفسية المحب المخلص ، وأنه يكون شديد الاحتياط دقيق التحرى عن الطريق الموصل إلى ساحة الرضا فى ثقة تملأ نفسه ، وتفعم قلبه ، ولا يجد فى مثل هذا المقام ما يملأ نفسه ثقة إلا أن يبين الطريق ، بأنه الطريق الذى وصل بالسير عليه من قبله الأنبياء

---

(١) تفسير ابن كثير (١/١٣٩)

والصديقون والشهداء والصالحون [1]

وثانيهما : أن من خواطر المؤمل فى نعيم ربه أن يكون تمام أنسه فى رفقة من الناس صالحين.

وقوله "غير المغضوب عليهم " :

الغضب : تغيير يحصل فى القلب عند غليان دم القلب لشهوة الانتقام وهو بهذا المعنى مستحيل على الله عز وجل .

الصحيح عند أهل السنة والجماعة أن المراد من الغضب المنسوب إلى الله تعالى لازمه وهو إرادة الانتقام.

قاعدة كلية : وهي أن جميع الأعراض النفسانية أعني الرحمة ، والفرح ، والسرور ، والغضب ، والحياء ، والغيرة ، والمكر والخداع ، والتكبر ، والاستهزاء لها أوائل ، ولها غايات ، ومثاله الغضب فإن أوله غليان دم القلب ، وغايته إرادة إيصال الضرر إلى المغضوب عليه ، فلفظ الغضب في حق الله تعالى لا يحمل على أوله الذي هو غليان دم القلب ، بل على غايته الذي هو إرادة الإضرار

فإن قيل أن المنعم عليه لا يكون من المغضوب عليهم ولا من الضالين ، فما الحكمة من ذكر هذين بعده ؟! والجواب على ذلك ما ذكره الإمام الرازى حيث قال : الإيمان إنما يكمل بالرجاء والخوف ، كما قال مطرف « لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا » [2]

فقوله : صراط الذين أنعمت عليهم يوجب الرجاء الكامل ، وقوله : غير المغضوب عليهم ولا الضالين يوجب الخوف الكامل ، وحينئذٍ يقوى الإيمان بركنيه وطرفيه ، وينتهي إلى حد الكمال .

فإن قيل لماذا نسبت النعمة إلى الله فى قوله أنعمت عليهم و لم ينسب الغضب و الإضلال فلم يقل غضبت وأضللت ؟!

فالجواب على أن ذلك جار على سبيل تعلم الأدب مع الله عز وجل فلا ينسب الشر إليه أدباً ، وإن كان خلقاً وإيجاداً ، قال تعالى على لسان إبراهيم عليه

---

(١)التفسير الوسيط (١/ ٢٥)

(٢) مفاتيح الغيب (١/ ٢٢٤)

السلام " الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين " حيث قال مرضت و لم يقل أمرضنى على نسق الآيات أدبا مع ربه سبحانه.

وكما قال ربنا سبحانه حكاية عن الجن " وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً" و لم يقل أشر أراد الله بمن فى الأرض. ومن مأثور الدعاء: الخير كله بيديك ، والشر ليس إليك .

فإن قيل ما الحكمة من ذكر لا فى"ولا الضالين" ؟

والجواب أنه إنما جىء ب(لا) لئلا يتوهم عطف الضالين على (الذين أنعمت عليهم) وليدل على أنه ثم مسلكين فاسدين هما طريقة اليهود وطريقة النصارى .

قال القرطبى:" لا" في قوله" وَلَا الضَّالِّينَ" اختلف فيها، فقيل هي زائدة، قاله الطبري. ومنه قوله تعالى:" ما مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ «١»" [الأعراف: ١٢]. وقيل: هي تأكيد دخلت لئلا يتوهم أن الضالين معطوف على الذين.[١]

فإن قيل : ما الحكمة فى أنه جعل المقبولين طائفة واحدة هم الذين أنعم الله عليهم ، والمردودين فريقين : المغضوب عليهم والضالين ؟

والجواب على ذلك ما ذكره الإمام الرازى إذ يقول : إن الذين كملت نعم الله عليهم هم الذين جمعوا بين معرفة الحق لذاته والخير لأجل العمل به ، فهؤلاء هم المرادون بقوله : أنعمت عليهم، فإن اختل قيد العمل فهم الفسقة وهم المغضوب عليهم كما قال تعالى : { وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ الله عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ } [النساء : ٩٣] وإن اختل قيد العلم فهم الضالون لقوله تعالى : { فَمَاذَا بَعْدَ الحق إِلاَّ الضلال } [يونس : ٣٢]

وقدم المغضوب عليهم على الضالين لأن معنى المغضوب عليهم كالضد لمعنى المنعم عليهم ، ولأن المقابلة بينهما أوضح منها بين المنعم عليهم والضالين ، فكان جديراً أن يوضع فى مقابلة قبل الضالين .[٢]

وقد وردت أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيان معنى المغضوب عليهم

---

(١)الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ١٥١)

(٢) مفاتيح الغيب (١/ ٢٢٤)

والضالين ذكرها العلامة السيوطي في الدر المنثور من حديث عبد الله بن شَقِيق قَالَ: أَخْبرني من سمع النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَهُوَ بوادي الْقرى على فرس لَهُ وَسَأَلَهُ رجل من بني الْعين فَقَالَ: من المغضوب عَلَيْهِم يَا رَسُول الله قَالَ: الْيَهُود قَالَ: فَمن الضالون قَالَ: النَّصَارَى [1]

فأخرجه ابن مردويه كما في "تفسير ابن كثير" (١ / ٣٠) من طريق إبراهيم بن طهمان، عن بُدَيل بن مَيْسرة، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ، عن أبي ذر قال: سألتُ رَسُول اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم - عن المغضوب عليهم، قال: ((اليهود)) ، قلت: الضالين؟ قال: ((النصارى)) [2].

وإن كانت النصوص الواردة عنه صلى الله عليه وسلم على نحو ما سبق تنص على أن المغضوب عليهم اليهود والضالين النصارى فقد ورد فى القرآن الكريم ذكر اليهود موصوفين بغضب الله عليهم والنصارى موصوفين بالضلال قال تعالى :" قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ (٦٠)" وعن النصارى : "وضلوا كثيراً"

فمما لا شك فيه أن اليهود يدخلون فى جملة من غضب الله دخولاً أولياً وكذا النصارى ، ولا مانع أن يدخل معهم آخرون فى دائرة الغضب والضلال فقد جاء فى القرآن الكريم :" وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣) "

وعليه فإن المغضوب عليهم يمكن أن يشمل كل من فسدت عقيدته ؛ حيث علموا الحق ولكنهم تركوه عناداً وكبراً وحقداً وحسداً ، ويمكن أن يراد من الضالين كل من أخطأ طريق العلم ، فهم فى ضلالهم تائهون لا يدرون إلى أين يتجهون.

وبعد ، فهذا ما أردت أن أقف عليه معك أخى الكريم من سورة الفاتحة من المعانى ،

---

(١)أخرجه أحمد في مسنده (٣٣/٤٦٠ رقم ٢٠٣٥١) قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح

(٢)قال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (٨ / ١٥٩) : ((اخرجه ابن مردويه بإسناد حسن عن أبي ذر))

بقى أن يقال: إن هذه السورة من خلال ما سبق وأيضاً من خلال ما سطر أشياخنا من العلماء قد حوت رغم وجازتها على معان قدسية جليلة عقيدة وشريعة وخلقاً قويماً، لكن الأهم من ذلك كله أن العبد إذا قرأ هذه السورة الكريمة كما ينبغى سواء فى محراب عبادته أو فى محراب صلاته بعد أن هيأ نفسه ذلك بما ينبغى من الآداب التى ينبغى أن يتحلى بها قارئ القرآن الكريم مع استحضار معنى قدسى فى نفسه ألا وهو محاولة استجماع قوى النفس الإيمانية وملكات الإرادة الروحانية بجعل النفس تحوم وتستحضر أنها تقرأ وتسمع كلام رب العالمين الذى يراها ويسمعها لحظة قراءتها أو سماعها وهنا يستولى على هذه النفس جانب من الروعة والهيبة والجلال والخشية تتأتى معها لذة إيمانية فائقة فى القلب تحس ، وإذا بصاحبها يقرأ بقلبه مثل لسانه وينشغل عقله بأجمل عبارات الثناء على الله ، تلك التى أثنى بها رب العالمين على نفسه بها " الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم " وعبارات التمجيد " مالك يوم الدين " وهنا يشعر العبد بذلته ومسكنته أمام عزة ربه وقوته ، فإذا هو يرفع أكف الضراعة إلى الله سائلاً إياه أن يوفقه لعبادته سبحانه وألا يستعين بسواه ، ثم يتذكر أن هذه النفس التى انطوى عليها بدنه يمكن أن تجره إلى طريق ليس مرضيا ربه ، وتزينه له فإذا به يلجأ إلى ربه فى ضراعة تامة؛ إنى أنا عبدك الضعيف وأنت ربى القوى اللطيف وها أنا ذا أدعوك كما أمرتنى بما علمتنى من سؤالك ربى الطريق المستقيم الموصل إليك ذاك الطريق الذى سلكه إليك الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وأيضاً أعوذ بك وأستجير بك من طريق أولئك الذين عرفوا الحق فخالفوه فغضبت عليهم وكذلك الذين أخطأوا الطريق الموصل إليك فلم يستجيبوا لنصيحة أحد ولا لدعوته إنما ذكروا بالوصف "المغضوب عليهم – الضالين " ولم يذكروا بالاسم كاليهود والنصارى ليكون ذلك دليلاً على أن العبرة عنده بمن اتصف بهذه الصفة أياً كان نعرفه أو لا نعرفه إمعانا فى تحرى الصواب والبعد عن الخطأ ثم لا يملك المصلى إلا أن يؤمن على بديع هذا الدعاء فيقول آمين أى استجب يا ربنا وهو كذلك إن شاء الله حيث علم الله عبده الدعاء بلفظ معين ووفقه لذلك فحاشا على كرم الكريم أن لا يستجيب له بعد ذلك .

ثالثا : الأحكام الشرعية :

- ما حكم قراءة الفاتحة فى الصلاة ؟[1]

مذهب جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة وكثيرين من أهل العلم وجوب قراءة الفاتحة ولا تصح الصلاة عندهم إلا بها وحجتهم:

١ - حديث عبادة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا صلاة لمن لم يبتدئ بأم القرآن .[2]

٢ - عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « مَنْ صَلَّى صَلاَةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ القرآن فَهْىَ خِدَاجٌ - ثَلاَثًا - غَيْرُ تَمَامٍ ».[3]

قال أبو هريرة في كل الصلاة يقرأ فما أسمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمعناكم وما أخفى منا أخفينا منكم، فقال له رجل إن لم أزد على أم القرآن فقال إن زدت عليها فهو خير وإن انتهيت إليها أجزأت عنك.[4]

٣ - عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فدخل رجل فصلى

---

(١) استفدت الأدلة والردود من المجموع ٣٦٢/١وما بعدها بتصرف والإقناع ١٣٣/١ ومغنى المحتاج إلى معرفة معانى ألفاظ المنهاج بتصرف ١ /٣٥٣

(٢)أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة (٢٩٥/١ رقم ٣٩٤)

(٣)أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة (٢٩٥/١ رقم ٣٩٤)

(٤)أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة (٢٩٥/١ رقم ٣٩٤)

فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد وقال ارجع فصل فإنك لم تصل فرجع يصلي كما صلى ثم جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارجع فصل فإنك لم تصل ثلاثا فقال والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره فعلمني فقال إذا قمت إلى الصلاة فكبر...الحديث[1]

٤ - حديث أبى سعيد الخدرى أمرنا أن نقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر . [2]

فهذه الأحاديث كلها دليل على وجوب قراءة سورة الفاتحة فى الصلاة لما سبق من الأدلة وأيضاً لم يثبت عن رسول الله أنه صلى بغير فاتحة الكتاب و لم ينقل عن أحد من أصحابه – وهم الذين اهتموا بنقل ما صغر وما كبر عنه بدقة وأمانة ــ لم يثبت عنهم أنهم صلوا بغير فاتحة الكتاب . والله أعلم .

وذهب أبو حنيفة رضى الله عنه إلى أن الواجب فى الصلاة مطلق قراءة بحيث لو قرأ المصلى شيئا من القرآن سواء أكان القرآن سورة الفاتحة أو غيرها صحت صلاته واستدل هؤلاء أولاً من القرآن قال تعالى "فاقرءوا ما تيسر من القرآن" قالوا والآية واردة فى شأن الصلاة فأول الآية " إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ" إلى أن قال: " فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ" قال أبو بكر الجصاص " و لم تختلف الأمة أن ذلك في شأن الصّلاة في الليل ، وذلك عموم عندنا في صلاة الليل وغيرها من النوافل والفرائض لعموم اللفظ".

---

(١)أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأذان باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها (١/ ١٥٢ رقم ٧٥٧) .

وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة (١/٢٩٥ رقم ٣٩٧)

(٢)أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة – باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب(١/٢١٦ رقم ٨١٨) . وأحمد في مسنده (١٧/٣٠ رقم ١٠٩٩٨) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم .

وأما السنّة فقد جاء فى الصحيح من حديث أبى هريرة المار فى الصفحة السابقة رقم ٣

ثم قالوا : هذا الحديث في تعليم الرجل صلاته يدل على التخيير لقوله صلى الله عليه وسلم:(اقرأ ما تيسّر معك من القرآن) [١]

فهذا الحديث والآية التى قبله دليل على جواز القراءة بالفاتحة أو غيرها على التخيير .

وحديث " فى كل صلاة قراءة ولو بفاتحة الكتاب" [٢]

وأما حديث عبادة بن الصامت " لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن " أى لا صلاة كاملة الأجر والثواب كحديث : « لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد » [٣]

أى لا صلاة كاملة؛ إذ الأمة مجمعة على جواز صلاة جار المسجد فى بيته، فكذلك هنا لكنهم قالوا تجوز مع الكراهة.

قال الأحناف :من المعروف أن الأصوليين اختلفوا فى مثل قوله " لا صلاة " فقيل هو مجمل لأنه حقيقة فى نفى الذات، والذات واقعة لا يرتفع، فينصرف لنفى الحكم، وهو متردد بين نفى الكمال، ونفى الصحة وليس أحدهما أولى من الآخر، فأنتم تقولون : لا صلاة صحيحة ، ونحن نقول : لا صلاة كاملة . لقوله صلى الله عليه وسلم : "لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد" وقوله :" لا صلاة بحضرة الطعام " .

وأجاب فإن أحدهما هنا أولى من الآخر لأنه فى نفى الصحة أظهر ، لأن مثل هذا يستعمل

---

(١)أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأذان باب وجوب القراءة للإمام (١٥٢/١ رقم ٧٥٧)

(٢) سبق تخريجه.

(٣)أخرجه الدارقطنى (٤٢٠/١) ، والبيهقى (٥٧/٣، رقم ٤٧٢٤) . وأخرجه الحاكم في المستدرك كتاب الطهارة (٣٧٣/١، رقم ٨٩٨)

قال الحاكم : قد صحت الرواية فيه عن أبي موسى، عن أبيه من سمع النداء فلم يجب " الحديث.

عرفاً لنفى الفائدة كقولهم: لا علم إلا ما نفع ، ونفى الصحة أظهر فى بيان نفى الفائدة ، وأيضاً اللفظ يشعر بالنفى العام ونفى الصحة أقرب إلى العموم من نفى الكمال ، لأن الفاسد لا اعتبار له بوجه، وأيضاً يمكن أن يقال: لا يمتنع نفى الذات أى الحقيقة الشرعية، فإن الصلاة فى عرف الشرع اسم للصلاة الصحيحة، فإذا فقد شرط صحتها انتفت كما استدلوا بقوله "من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداج غير تمام " فهذا يدل على الركنية.

قال الحنفية :

لا نسلم ؛ لأن معناه أن صلاته ناقصة ، ونحن نقول بنقصانها، بمعنى أنها لم تبلغ حد الكمال، ولهذا قلنا باستحباب قراءة الفاتحة.

وأجابوا عن الآية التى احتج بها الحنفية بأنها وردت فى قيام الليل لا فى قدر القراءة .

وأجابوا عن حديث المسىء صلاته فى قوله " ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن" بأن الفاتحة مما تيسر، فيحمل عليها جمعاً بين الأدلة، أو يحمل على من لا يحسنها.

وأجابوا عن حديث فى كل صلاة قراءة ولو بفاتحة الكتاب بأنه ضعيف ولو صح كان معناه أن أقل ما يجزئ فاتحة الكتاب، كما يقال : صم ولو ثلاثة أيام من الشهر، أى أكثر من الصوم ، فإن نقصت فلا تنقص عن ثلاثة أيام. والله أعلم .

وبعد ، فهذه أدلة كل فريق سقتها لك، وعلى أية حال تبين لنا صحة رأى جمهور الفقهاء ؛ لقوة أدلته .

بقى سؤال : هل يقرأ المأموم خلف إمامه؟

- فذهب الشافعية والحنابلة إلى وجوب قراءة الفاتحة خلف الإمام سواء كانت الصلاة سرّية أم جهرية واستدلوا على ذلك بما يأتى:

١- عموم قوله صلى الله عليه وسلم : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب »

قالوا: فهذا عام فى كل مصل، و لم يثبت تخصيص بغير المأموم بمخصص صريح فبقى على عمومه.

٢- حديث عبادة بن الصامت قال: صلى بنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صلاة الصبح فثقلت عليه القراءة فلما انصرف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من صلاته أقبل علينا بوجهه وقال :"إني لأراكم تقرؤون خلفي ؟". قلنا: أجل والله يا رسول الله هذا . قال :" فلا تفعلوا إلا بأم الكتاب فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها". (١)

٣- حديث أبى هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج، فهي خداج غير تمام فقيل لأبى هريرة إنا نكون وراء الإمام، قال: اقرأ بها فى نفسك» [١]

- وذهب الأحناف إلى أنه لا تجب على المأموم قراءة، بل نقل القاضى أبو الطيب والعبدرى عن أبى حنيفة أن قراءة المأموم معصية سواء أكان ذلك فى الصلاة الجهرية أم فى الصلاة السرية كذلك. واستدلوا على ذلك بما يأتى :

١- عن جابر بن عبد الله عن النبي صلّى الله عليه و سلم أنه قال : من صلى خلف الإمام فإن قراءة الإمام له قراءة.[٢]

٢- عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال : كان النبى يصلى ورجل يقرأ خلفه ، فلما فرغ قال من الذى يخالجنى سورتى فنهى عن القراءة خلف الإمام .[٣]

---

(١) سبق تخريجه .

(٢)أخرجه ابن ماجه في السنن كتاب أبواب إقامة الصلاة - باب: إذا قرأ الإمام فأنصتوا (١/٢٧٧، رقم ٨٥٠). وأحمد في مسنده (٣/٣٣٩ رقم ١٤٦٨٤) وعبد بن حميد في المسند (ص ٣٢٠، رقم ١٠٥٠) والحديث إسناده حسن .

(٣)أخرجه الدارقطني في السنن كتاب الصلاة (١/٣٢٦ و٤٠٥) والبيهقي في "السنن" كتاب الصلاة

٤- عن أبى الدرداء: أن رجلا قال: يا رسول الله فى كل صلاة قراءة؟ فقال: نعم فقال رجل وجبت وجبت فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم وكنت أقرب القوم إليه: ما أرى الإمام إذا أم القوم إلا قد كفاهم.[١]

٥ - عن عمر بن الخطاب قال: وددت أن الذى يقرأ خلف الإمام فى فيه حجر .[٢]

٦ - عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: من قرأ خلف الإمام فليس على الفطرة أو فقد أخطأ الفطرة.(١)

٧ - عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال من قرأ وراء الإمام فلا صلاة له.[٣]

- ذهب الإمام مالك وأحمد فى رواية عنه وآخرون إلى أن المأموم يقرأ فى السرية وجوباً ولا يقرأ فى الجهرية واستدلوا بما يأتى:

١- قوله تعالى :" إِذَا قُرِئَ القرآن فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ"

٢- عن أبى موسى الأشعرى قال: إن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خطبنا فبين لنا

١٦٢/٢) وإسناده فيه اختلاف

(١)أخرجه أحمد في المسند (٤٥٩/٤٥ رقم ٢٧٥٣٠)

والبيهقى فى القراءة خلف الإمام (١٧٢/١، رقم ٣٨٠) .

قال الأرنؤوط : إسناده صحيح

(٢)أخرجه عبد الرزاق في المصنف كتاب الصلاة (١٣٨/٢، رقم ٢٨٠٦) .

(٣)أخرجه عبد الرزاق في المصنف كتاب الصلاة (١٣٧/٢، رقم ٢٨٠١) ، وابن أبى شيبة في مصنفه كتاب الصلاة (٣٣٠/١، رقم ٣٧٨١)

سننا وعلمنا صلاتنا فقال إذا صليتم فأقيموا صفوفكم ثم ليؤمكم أحدكم فإذا كبر فكبروا وإذا قرأ فأنصتوا. (١)

٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْصَرَفَ مِنْ صَلَاةٍ جَهَرَ فِيهَا بِالْقِرَاءَةِ فَقَالَ هَلْ قَرَأَ مَعِي أَحَدٌ مِنْكُمْ آنِفًا فَقَالَ رَجُلٌ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِنِّي أَقُولُ مَالِي أُنَازَعُ القرآن قَالَ فَانْتَهَى النَّاسُ عَنْ الْقِرَاءَةِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا جَهَرَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الصَّلَوَاتِ بِالْقِرَاءَةِ حِينَ سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (٢)

وأجاب الشافعية على الأحاديث التى احتج بها القائلون بعدم قراءة الفاتحة بأنها أحاديث ضعيفة وليس فيها شيء صحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم وبعضها موقوف وبعضها مرسل وبعضها فيه راو ضعيف وقد بين البيهقى علل جميعها وأوضح تضعيفها.

قال النووي: وأجاب أصحابنا عنها على تقدير صحتها بأنها محمولة على قراءة المأموم للسورة خلف الإمام، بعد قراءة الفاتحة جمعا بين الأدلة، كما هو صريح حديث عمران بن حصين قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر أو العصر فقال: أيكم قرأ خلفى سبح اسم ربك الأعلى فقال رجل : أنا و لم أرد بها إلا الخير فقال: قد علمت أن بعضكم خالجنيها .(٣)

وأجابوا على الاستدلال بقوله تعالى "وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا " بأنها

---

(١)أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة باب التشهد في الصلاة (٣٠٣/١ رقم ٤٠٤)

(٢)أخرجه الترمذي في سننه كتاب الصلاة باب ما جاء في ترك القراءة خلف الإمام إذا جهر الإمام بالقراءة (٤٠٨/١ رقم ٣١٢)
ومالك في الموطأ كتاب الصلاة – ترك القراءة خلف الإمام فيما جهر فيه (١١٧/٢ رقم ٢٨٢)
قال الترمذي : هذا حديث حسن.

(٣)أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة – باب نهي المأموم عن جهره بالقراءة خلف إمامه (٢٩٨/١ رقم ٣٩٨)

وردت فى تلاوة القرآن الكريم خارج الصلاة هذا إذا سلمنا بأن المراد بها قراءة القرآن حقيقة؛ وإلا فقد ورد أنها نزلت فى شأن خطبة الجمعة حيث كان الناس يتكلمون أثناءها وسميت قرآناً لاشتمالها عليه.

وأجابوا عن قوله " إذا كبر فكبروا وإذا قرأ فأنصتوا " بأن القرآن المأمور بالإنصات له قراءة السورة، وقراءة الإمام لها قراءة للمأموم بأن قالوا: يستحب للإمام أن يسكت بعد الفاتحة قدر ما يقرأ المأموم الفاتحة، بدليل حديث الحسن أن سمرة بن جندب وعمران بن حصين تذاكرا فحدث سمرة أنه حفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم سكتتين : سكتة إذا كبر وسكتة إذا فرغ من قراءة (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فحفظ ذلك سمرة وأنكر عليه عمران وكتبا فى ذلك لأبى بن كعب ، فكان فى كتابه إليهما أن سمرة قد حفظ.(١)

وأجابوا عن حديث أبى هريرة : فانتهى الناس عن القراءة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جهر فيه بالقراءة من الصلوات حين سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم انتهوا عن قراءة السورة لا عن قراءة الفاتحة ، مع أن الحفاظ طعنوا فى هذا الحديث وقالوا أنه ضعيف فيه راو مجهول وأن هذه الزيادة ليست من كلام أبى هريرة بل هى من كلام الزهرى مدرجة فى الحديث.

الراجح:

أقول الأحاديث الكثيرة والتى سبق ذكرها دالة على أن قراءة القرآن توجب الثواب العظيم وهى متناولة للمنفرد والمقتدى ، وعليه فالقول بوجوب قراءتها للمأموم أولى بالقبول؛ لا سيما وأن الأحناف لا يقولون ببطلان صلاة من قرأها بخلاف الشافعية فيقولون ببطلان صلاة من تركها فكان الأحوط بالنسبة للمأموم أن يقرأها لذلك.

قال العلامة الرازى: قد ذكروا أخباراً كثيرة والشيخ أحمد البيهقي بين ضعفها ، ثم نقول : هب أنها صحيحة ، ولكن الأخبار لما تعارضت وكثرت فلا بدّ من الترجيح ، وهو

---

(١)أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة باب – باب السكتة عند الافتتاح (٢٠٧/١ رقم ٧٧٩) وابن خزيمة في صحيحه كتاب الإمامة – باب سكوت الإمام قبل القراءة، وبعد تكبيرة الافتتاح (٥٣/٣ رقم ١٥٧٨)

نقول : هب أنها صحيحة ، ولكن الأخبار لما تعارضت وكثرت فلا بدّ من الترجيح ، وهو معنا من وجوه: الأول : أن قولنا يوجب الاشتغال بقراءة القرآن ، وهو من أعظم الطاعات ، وقولهم يوجب العطلة والسكوت عن ذكر الله ولا شك أن قولنا أولى، الثاني: أن قولنا أحوط، الثالث: أن قولنا يوجب شغل جميع أجزاء الصلاة بالطاعات والأذكار الجميلة ، وقولهم يوجب تعطيل الوقت عن الطاعة والذكر .[1]

هذا ويسن لمن يقرأ سورة الفاتحة أن يقول بعد الفراغ من قراءتها (آمين) وهى كلمة ليست من القرآن بإجماع وإنما تقرأ بعد الفراغ من الفاتحة سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك لم تكتب فى القرآن أصلاً.

والدليل على أنها سنة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :" علمني جبريل آمين عند فراغى من قراءة الفاتحة "

وقال إنه كالختم على الكتاب" وفى معناه قول على رضى الله عنه : آمين خاتم رب العالمين ختم دعاءه عنده .

ومعنى كلمة آمين اسم فعل أمر بمعنى استجب ، وتأدباً مع الله نقول اسم فعل دعاء لأن الآمر هنا أقل رتبة من المأمور ، بل لا رتبة أصلاً للعبد أمام مقام ربه عز وجل بل تتلاشى كل الرتب وتطيش أمام رتبة الله عز وجل، فهى أى رتبة العبد هى العدم.

قال العلامة القرطبى:

معنى آمين عند أكثر أهل العلم: اللهم استجب لنا، وضع موضع الدعاء. وقيل معنى آمين: كذلك فليكن، قاله الجوهري. وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: سألت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما معنى آمين؟ قال: (رب افعل).[1]

وقال مقاتل: هو قوة للدعاء، واستزال للبركة. وقال الترمذي: معناه لا تخيب رجاءنا.

وتنطق آمين إما بمد الهمزة على وزن فاعيل كياسين. والقصر على وزن يمين. قال الشاعر في المد:

---

(١)رواه الثعلبي في تفسيره كما في الدر المنثور (٤٥/١) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس مثله، وكلا الإسنادين ضعيفان.

يا رب لا تسلبني حبها أبدا ... ويرحم الله عبدا قال آمينا [1]

وقال آخر في القصر:

تباعد مني فطحل إذ سألته ... أمين فزاد الله ما بيننا بعدا [2]

وتشديد الميم خطأ، قال الجوهري. وقد روي عن الحسن وغيره من أم إذا قصد، أي نحن قاصدون إليك أو نحوك، ومنه قوله " وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ" [المائدة: ٢].[3]

وهنا سؤال : هل يقولها الإمام ويجهر بها ؟

أو ما حكم التأمين؟

ذهب الشافعية [4]إلى أن التأمين سنة لكل مصل فرغ من الفاتحة سواء الإمام والمأموم والمنفرد والرجل والمرأة والصبى والقائم والقاعد والمضطجع والمفترض والمتنفل في الصلاة السرية والجهرية ، إن كانت الصلاة سرية أسر الإمام وغيره بالتأمين تبعا للقراءة وان كانت جهرية وجهر الإمام أو المنفرد بالقراءة استحب للمأموم الجهر بالتأمين بلا خلاف بين الشافعية، وخلافهم فى المأموم حين يجهر إمامه بالتأمين وجمهورهم على أنه يجهر وذهب جماعة منهم إلى أنه لا يجهر ولعل منشأ الخلاف بينهم ما نقل عن الشافعى فى المذهب القديم: يجهر وعبارته فى المذهب الجديد تفيد عدم الجهر ولفظها فى المختصر وهو من الجديد يرفع الإمام صوته بالتأمين ويسمع من خلفه أنفسهم ولفظها فى الأم يرفع الإمام بها صوته فإذا قالها قالوها وأسمعوا أنفسهم ولا أحب أن يجهروا فإن فعلوا فلا شيء عليهم .[5]

ووجهة نظر القائلين بجهر الإمام أن القول إذا وقع به الخطاب مطلقاً حمل على الجهر ومتى أريد به الإسرار أو حديث النفس قيد بذلك ، فعن أبي هريرة أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (إذا أمن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من

---

(١) البيت لـمجنون بنى عامر ينظر ديوانه ص ٢٨٣، وينظر الحماسة البصرية (٢/ ٢٢٩)

(٢) البيت لجُبَيْرِ بن الأَضبَط كما في تاج العروس (٣٠/ ١٨٢)

(٣) قال ابن فارس في مقاييس اللغة (١/ ١٣٥) : قَوْلُنَا فِي الدُّعَاءِ: " آمِينَ " قَالُوا: تَفْسِيرُهُ: اللَّهُمَّ افْعَلْ، وَيُقَالُ: هُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى.

(٤) استفدت الأدلة والردود من المجموع بتصرف ٣/٣٧٠ والإقناع ١/١٣٥ ومغنى المحتاج ١/٣٦٠وما بعدها بتصرف

(٥) المجموع شرح المهذب للنووي (٣/ ٣٧١)

يا رب لا تسلبني حبها أبدا ... ويرحم الله عبدا قال آمينا [1]

وقال آخر في القصر:

تباعد مني فطحل إذ سألته ... أمين فزاد الله ما بيننا بعدا [2]

وتشديد الميم خطأ، قال الجوهري. وقد روي عن الحسن وغيره من أم إذا قصد، أي نحن قاصدون إليك أو نحوك، ومنه قوله " وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ" [المائدة: ٢].[3]

وهنا سؤال : هل يقولها الإمام ويجهر بها ؟

أو ما حكم التأمين؟

ذهب الشافعية [4]إلى أن التأمين سنة لكل مصل فرغ من الفاتحة سواء الإمام والمأموم والمنفرد والرجل والمرأة والصبى والقائم والقاعد والمضطجع والمفترض والمتنفل في الصلاة السرية والجهرية ، إن كانت الصلاة سرية أسر الإمام وغيره بالتأمين تبعا للقراءة وان كانت جهرية وجهر الإمام أو المنفرد بالقراءة استحب للمأموم الجهر بالتأمين بلا خلاف بين الشافعية، وخلافهم فى المأموم حين يجهر إمامه بالتأمين وجمهورهم على أنه يجهر وذهب جماعة منهم إلى أنه لا يجهر ولعل منشأ الخلاف بينهم ما نقل عن الشافعى فى المذهب القديم: يجهر وعبارته فى المذهب الجديد تفيد عدم الجهر ولفظها فى المختصر وهو من الجديد يرفع الإمام صوّته بالتأمين ويسمع من خلفه أنفسهم ولفظها فى الأم يرفع الإمام بها صوته فإذا قالها قالوها وأسمعوا أنفسهم ولا أحب أن يجهروا فإن فعلوا فلا شىء عليهم .[5]

ووجهة نظر القائلين بجهر الإمام أن القول إذا وقع به الخطاب مطلقاً حمل على الجهر ومتى أريد به الإسرار أو حديث النفس قيد بذلك ، فعن أبي هريرة أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (إذا أمن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من

---

(١) البيت لـــمجنون بنى عامر ينظر ديوانه ص ٢٨٣، وينظر الحماسة البصرية (٢/ ٢٢٩)

(٢) البيت لجُبَيْرِ بن الأَضْبَط كما في تاج العروس (٣٠/ ١٨٢)

(٣) قال ابن فارس في مقاييس اللغة (١/ ١٣٥) : قَوْلُنَا فِي الدُّعَاءِ: " آمِينَ " قَالُوا: تَفْسِيرُهُ: اللَّهُمَّ افْعَلْ، وَيُقَالُ: هُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى.

(٤) استفدت الأدلة والردود من المجموع بتصرف ٣/٣٧٠ والإقناع ١/١٣٥ ومغنى المحتاج ١/٣٦٠وما بعدها بتصرف

(٥) المجموع شرح المهذب للنووي (٣/ ٣٧١)

ذنبه).[1]

فالحديث قابل تأمين المأمومين بتأمين الإمام ومقابلة القول بالقول ظاهرها الاتفاق والإمام قد استحب له الجهر فالمأموم كذلك وفى البخارى : أمن ابن الزبير ومن وراءه حتى إن للمسجد للجة ويروى لجلبة أى لصوت مرتفع.

وذهب مالك إلى أن لا يؤمن الإمام مطلقاً لا فى سرية ولا فى جهرية وكذا المنفرد ويؤمن المأموم سراً فى الجهرية وروى عنه يؤمن الإمام سراً فى الجهرية والسرية ويؤمن المأموم والمنفرد .

واحتج بعض المالكية للرواية الأولى رواية عدم تأمين الإمام مطلقاً بأن الإمام داع بقوله اهدنا الصراط المستقيم فناسب أن يختص المأموم بالتأمين .[2]

واستدلوا أيضاً بما رواه مسلم فى باب التشهد: إذا قال ولا الضالين فقولوا آمين فإنه صلى الله عليه وسلم قسم ذلك بين الإمام والمأموم والقسمة تنافى الشركة .

وأجابوا عن حديث " إذا أمن الإمام فأمنوا" وظاهره أن الإمام يؤمن، أجابوا بأنها قضية شرطية لا تثبت وقوع فعل الشرط، وعلى التسليم بأن (إذا) تشعر بتحقيق وقوع فعل الشرط فإن المراد من أمن موضع التأمين بقوله "غير المغضوب عليهم ولا الضالين" كما يقال أنجد إذا بلغ نجداً و لم يدخلها، وقال بعضهم: معنى إذا أمن الإمام: إذا دعا بقوله "اهدنا الصراط المستقيم " وتسمية الداعى مؤمناً سائغة لأن المؤمن يسمى داعياً كما جاء فى قوله تعالى " قد أجيبت دعوتكما " وكان موسى داعياً وهارون مؤمناً.

---

(١)أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة باب جهر الإمام بالتأمين (١٥٦/١ رقم ٧٨٠)
أخرجه مسلم في الصلاة باب التسميع والتحميد والتأمين رقم (٣٠٦/١ رقم ٤١٠)

(٢) ينظر شرح مختصر خليل للخرشي (٢٨٢/١) ، الفواكه الدواني بشرح رسالة أبي زيد القيرواني (١٧٨/١)

خامسا : الخاتمة

وبعد هذه الجولة المتواضعة مع هذه السورة الكريمة لعله تبين لك أيها القارئ الكريم

أولا : مدى أهمية هذه السورة المجيدة ومدى استحقاقها لأن تكون

- : فاتحة سور الذكر الحكيم .

- : السورة التى يجب أن يقرأها المسلم كل يوم فى صلاته ، بل لا تصح صلاته بدونها .وذلك لاشتمالها على كليات هذا الدين العظيم من العقائد والعبادات والأخلاق والقصص وبالتالى فهى جديرة باهتمام كل مسلم ومسلمة اهتماما يتناسب مع جلال هذه السورة.

ثانيا : ولعلك رأيت من خلال هذه الدراسة كذلك أن الخلاف بين المسلمين - إذا فى موضعه - ظاهرة صحية تستوعب العقول والأفكار وفى هذا ما فيه من التشجيع على التأمل والتدبر حتى لو أدى ذلك إلى الاهتداء إلى فكرة تغاير ما عليه الآخرون وهذا واضح من خلال ما سبق من الكلام على خلاف الفقهاء حول البسملة وغيرها من المسائل التى مرت ذلك لأن الحق قد يتنوع قال تعالى فى سورة العنكبوت (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) (٦٩)

ثالثا : رأيت معى كذلك أن نصوص الشرع الحكيم من القرآن والسنة ودلالتها تستوعب كل هذه الآراء ولو أن الله – عز وجل – أراد أن يحمل عباده على رأى واحد لأتى لهم بنصوص قطعية الدلالة على الرأى الذى يريد فى كتابه أو على لسان رسوله – صلى الله عليه وسلم - لكنه لم يفعل رحمة منه بعباده ولتعمل العقول وليتحقق الهدف من التدبر قال تعالى فى سورة هود" وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) ١١٩

رابعا : رأيت معى كذلك أن القول بوجوب حمل المسلمين على رأى واحد قول عجيب بل الأولى بأصحاب هذا الرأى أن يبينوا للناس أن الخلاف إنما هو سنة الله فى عباده وأن يبينوا لهم كيف يتعاملون مع مثل هذه القضايا ولو أنهم فعلوا ذلك وأخلصوا لاستراحت الأمة من كثير من الإشكاليات الواقعة بين

أفرداها الآن حيث ترى كثيرا ممن ينتسب ألى العلم يحاول ثم يحاول أن يبين للناس أن رأيه هو الصواب الذى لا صواب سواه وأن رأى غيره هو الخطأ لا غير وعلى أساس هذا المبدأ يوالى ويعادى وفى هذا ما فيه من الخطورة على وحدة الأمة وسلامتها والأدهى والأمر أن يكون لمثل هذا القائل أشياع وأتباع كما هو مشاهد

خامسا : على فقهاء الأمة وعلمائها أن يخلصوا النية ويصدقوا العزم ويكشفوا للناس عن حقيقة هذا الدين العظيم وعلى وجه الخصوص حقيقة أن هذا الدين لا يمنع أن تتنوع الآراء وتتعدد وكيف أنه يتعامل معها على أنها لون من ألوان التأمل والتدبر الذى دعا إليه الإسلام وبالتالى يحتضن أصحابها ويشجعهم فى إطار من المودة والمحبة إذن العيب ليس فى الإسلام ، إنما هو فينا ، حيث تركت الساحة للجهلاء ليتحدثوا باسم الإسلام وتوارى العلماء لسبب أو لآخر فحدث ما يندى له الجبين فترى الناس يختلفون حيث لا داعى للخلاف هل الصلاة صحيحة خلف من يبسمل أو لا ؟ والعكس هل تخرج زكاة الفطر طعاما أو يجوز إخراج القيمة ؟ فما إن تقول يجوز إخراج القيمة حتى يقف لك بعض الشباب قائلا بصوت مرتفع : لا يجوز إلى غير ذلك من المسائل المضحكة المبكية

وبعد : هذا ما أردت أن أقف عليه معك أيها القارئ الكريم فإن أك قد وفقت فبفضل الله – عز وجل – وإن تكن الأخرى فمنى ومن الشيطان والله ثم رسوله منه بريئان وأستغفر الله العلى الغفور من ذلك والحمد لله رب العالمين

والله الموفق

أهم المرجـــــــــع

1-القرآن الكريم.

2-الإتقان في علوم القرآن –للسيوطي

3-أحكام القرآن- ابن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله-دار المعرفة-

تحقيق: علي محمد البجاوي.

4-أحكام القرآن – أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص- دار إحياء

التراث العربي بيروت- لبنان- تحقيق: محمد الصادق قمحاوي.

5-أحكام القرآن – الكيا الهراسي- دار الكتب العلمية –بيروت- لبنان الطبعة

الأولى 1403هـ 1983 م.

6-أحكام القرآن –للشافعي-دار الكتب العلمية-بيروت 1400 هـ-تحقيق:

عبد الغني عبد الخالق.

7-إعجاز القرآن-أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم

الباقلاني-دار المعارف-القاهرة-تحقيق:السيد أحمد صقر.

8-إعراب القرآن-أبو جعفر أحمدبن محمد النحاس- عالم الكتب-

بيروت-لبنان-الطبعة الثالثة-1409 هـ-1988 م- تحقيق:زهير غازي

زاهد

9- إعراب مشكل القرآن –مكي بن أبي طالب-مؤسسة الرسالة-

تحقيق:حاتم الضامن.

١٠- البحر المحيط-لأبي حيان، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ١٤١١هـ.

١١- البرهان في علوم القرآن- للزركشي، دار المعرفة- بيروت، ١٣٩١هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

١٢- - البيان في غريب إعراب القرآن- أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري- الهيئة المصرية العامة - ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م- تحقيق:طه عبدالحميد طه

١٣- - البيان والتبيين- الجاحظ- مكتبة الخانجي - القاهرة - مصر - الطبعة الثالثة- تحقيق:عبدالسلام هارون

١٤- - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - عبدالله بن عمر البيضاوي- دار الكتب العلمية -بيروت - لبنان- الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-

١٥- - تاج العروس من جواهرالقاموس- لمحمد مرتضى الزبيدي- ١- دار الفكر -تحقيق : علي شيري ٢- دار إحياء التراث العربي -بيروت - لبنان ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م- تحقيق: عبدالستار أحمد فراج .

١٦- التحرير والتنوير- لابن عاشور- طبعة المدينة المنورة، بدون تاريخ ورقم الطبعة.

١٧- تفسير القران العظيم - إسماعيل ابن كثير القرشي- دار الأفكار الدولية -تحقيق :حسان الجبالي.

١٨- - تفسير الجلالين- لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي- وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي- دار الحديث- القاهرة- الطبعة الأولى.

١٩- - تفسير الحسن البصري- الحسن البصري- الجامعة العربية - كراتشي- جمع وتحقيق ودراسة: د. عمر يوسف كمال

٢٠- - تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل)- علاء الدين علي

بن محمد المعروف بالخازن- دار احياء التراث العربي- بيروت -لبنان --

٢١- - - تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله والصحابة والتابعين- ابن أبي حاتم عبدالرحمن بن محمد الرازي- مكتبةالباز- مكة المكرمة - السعودية - الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- تحقيق:أسعد محمد الطيب

٢٢- - تفسيرعبد الرزاق - عبدالرزاق بن همام الصنعاني - مكتبة الرشد - الرياض - الطبعة الأولى ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م- تحقيق:مصطفى مسلم محمد

٢٣- - التفسير الكبير- فخرالدين الرازي - طبعة دار الكتب العلمية- الطبعة الثانية.

٢٤- - التفسير والمفسرون- محمد حسين الذهبي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .

٢٥- الجامع لأحكام القرآن الكريم- للقرطبي، دار احياء التراث العربي بيروت ١٤٠٥ هـ.

٢٦ - تفسير آيات الأحكام-للسايس، طبعة مؤسسة المختار، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

٢٧- جامع البيان في تأويل القرآن- للطبري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

٢٨- روح المعاني- للألوسي، طبعة دار الفكر، دون ذكر رقم الطبعة.

٢٩-معالم التنزيل- للبغوي، دار طيبة، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ تحقيق: محمد عبد الله النمر.

٣٠- مفاتيح الغيب- للرازي، طبعة المكتبة التوفيقية بدون تاريخ ورقم الطبعة.

٣١- صحيح البخاري- دار ابن كثير- بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ، تحقيق: د/ مصطفى ديب البغا.